

الدكتور

جمال الدين الرمادي



حصار

عام الستة

أور
حربه يونيو





مطبوعات الشعب

التراث والعلم والإسلامية لكل الشعب

تصدر عن مؤسسة

دار الشعب

للمحافة والطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة
والمنشئ العام على التجهيز

جمال الدين زكي

سأظل القاهرة .. دائما قلب العروبة والإسلام
النايض .. تتبوا مكانها التاريخية والعضارية ..
في عالم الفكر والثقافة والنشر ..



الإدارة : ٩٢ شارع قصر العيني - القاهرة

ت ٣٥٤٤٤٤١ / ٣٥٥٧٧٣ / ٣٥٤٣٨٠٠ / ٣٥٥١٨١٨ / ٣٥٥١٨١٠

قطاع النشر ٣٥٥١٥٩٩

رقم الفاكس ٣٥٤٤٨١١ - ص.ب. ١٤ / رقم بريد ١١٥١٦



الخلاف تصميم الفنان : نبيل فرغلا

حصاد الأيام الستة

أو

حرب ه يونيو



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque Alexandrine

الكتوب

جمال الدين الرمادي

الهيئة العامة للمكتبات الألكسندرية	
رقم التصنيف	٩٦٧
رقم التسجيل	٩٦٧

فهرس

صفحة

مقدمة ٥

الباب الأول حصاد حقد قديم

الفصل الأول

احلام العودة ١١

الفصل الثاني

حرب عقائدية ١٧

الفصل الثالث

زحف صهيوتى ٢٧

الفصل الرابع

محاولة تحطيم القومية العربية ٣٧

الفصل الخامس

تحطيم الجبهة الداخلية ٥٣

الفصل السادس

الامال التوسعية ٥٧

الباب الثاني فى المعركة

الفصل الأول

الشرارة الأولى ٦٩

الفصل الثاني

التجسس وحرب الاثني ٧٩

الفصل الثالث

الزحف المقدس ٨٧

الفصل الرابع

نخب الانتصار ٩١

الباب الثالث

تكسات وانتصارات

الفصل الأول

ماذا تصنعون بالحياة ٩٥

الفصل الثاني

الصليبيون والتتار ١٠١

الفصل الثالث

طرد الهكسوس ١٠٥

الفصل الرابع

من تاريخ أوربا ١٠٩

الباب الرابع

لكي نسقط الحمامة

الفصل الأول

إعادة البناء العام ١١٥

الفصل الثاني

عروبتنا أولا ١٢١

الفصل الثالث

مواجهة الضغوط الاقتصادية ١٢٥

الفصل الرابع

الجهود الإعلامية ١٣١

الفصل الخامس

النصر مع الصبر ١٤١

مقدمة

لم تكن حرب يونيو عام ١٩٦٧ حربا عفوية ، كما لم تكن ردا على مدوان قائم او دفاعا عن حق ضائع مسلوب كما لم تكن وسيلة لتسوية قضية حرية الملاحة في خليج العقبة بعد ان عادت القوات المصرية الى مواقعها القديمة في شرم الشيخ كما يزعم كثير من دعاة الاسرائيليين ، انما كانت حصاد حقق قديم وامتدادا لسياسة توسعية قديمة عبر العصور ، وتنفيذا لمخططات صهيونية محكمة لشيوخ صهيون ، وتحقيقا لبروتوكولات موضوعة وضعها هؤلاء الشيوخ من اجل القضاء على اعداء الصهيونية ، وانتصار العنصر اليهودى على كافة العناصر الانسانية ، لانهم فى عرف أنفسهم شعب الله المختار ، ولا بد أن تتم الحية الرقطاء - وهى شعارهم الذى يضعونه نصب أعينهم - دورتها فتهلك الشعوب الأخرى تحتها وتقضى عليها قضاء مبرما ، فلا تقوم لها بعد ذلك قيامة أبدا .

لم تكن حرب يونيو اذن حربا دفاعية من جانب اليهود ، انما كانت حربا عدوانية مدبرة ، تحالفت فيها قوى الاستعمار من اجل ازهاق الحق العربى ، وتضييع حقوق العرب فى فلسطين بعد ان

شردت آلاف الاسر ، ونهبت مئات الديار ، وارتفعت أسسوات
اللاجئين تشكو الى ربها بثها وبلواها من ظلم القوم الظالمين ، واوشكت
الشعوب الحرة الابية ان تستجيب لنداء هؤلاء المحرومين ، ولدعاء
هؤلاء المكروبين ، غير ان اسرائيل لم تستجب لاي قرار تصدره
الأمم المتحدة في جانب هؤلاء المشردين بل أمعنت في غيها وشلالها
وأوغلت في بنيتها وعدوانها دون رادع من عقل أو وازع من ضمير .

وفي هذا الكتاب سوف نحاول ان ندرس مقدمات حرب يونيو
كما ندرس المعركة نفسها ، ونتائجها ، والدروس المستفادة منها ،
ونعرض على الانظار صورة خفية ظلت مطوية الاسرار ، كما نناقش
بعض ماكتب عن المعركة ومنه ماكتبه الصحفيون الروس ايليايف ،
ت كوليسيتشسكو ، ي . بريماكوف عن خطة اسرائيل في المعركة
أو ما أطلقت عليه « اطلاق الحمامة » وهو في الواقع لم يكن الا خطة
الصقور الجارحة ، وبغات الطير الجانحة التي تنهش وتفترس ،
وتنقض وتقتنص ، كما نناقش ما كتبه راندلوف تشرشل وونستون
تشرشل ابن وحفيد السياسي البريطاني العتيق عن المعركة في
كتابهما « حرب الايام الستة » وكان ونستون تشرشل قد سافر
الى مكان الاحداث ليعمل مراسلا عسكريا بينما بقي راندلوف في
لندن ليتلقى انباء المعركة من ابنه ، فلما وضعت الحرب اوزارها ،
وانجلت المعركة اشترك الابن والحفيد في تأليف كتاب « حرب
الايام الستة » وقد أعطيا في كتابهما صورة عن المعركة كان جانب
منها يسائر الواقع ، ويتمشى مع الحقيقة بينما كان الجانب الآخر
منطى بفضالة من الحقد القديم ، والبغض الدفين للعرب ، ولكننا
لا نستطيع ان نرغم الكتاب على الدفاع عن قضيتنا والا كان ذلك
خيرا من الخيال ولونا من الخيال ، فليكتب الكتاب ماشاء لهم ان
يكتبوا ، وليدون المعلقون السياسيون كما يحلو لهم ان يدونوا ،
وعلى الرأي العام بعد ذلك ان يمحض ما كتب من كتابات ، وما دون
من مدونات ، وعليه ان يدرك الخبيث من الطيب ، والحقيقة من

الأسطورة ، والواقع من الكذب والافتراء ، فلقد أصبحت الشعوب
اليوم متنبهة الأذهان ، متفتحة الأذان ، لا ينطلى عليها الكذب ،
ولا يخدعها الافتراء . فان للحق رنيناً صادقاً يتميز به عن كل رنين ،
وان للخيال نسيجاً مشوهاً يفترق به عن كل نسيج ، وسوف نضع
نصب أعيننا حق الشعب العربى فى الحياة الحرة الكريمة ، وتحطيم
اصفاد الإستعمار قيذاً قيذاً ، والتمسك بمبادئنا الوطنية التى
نحرص عليها حرصنا على الحياة ، بيد أننا نفضل الموت على أن
نتنازل عنها ، فان الشعب العربى على حد تعبير الشاعر العربى
يقابل المنايا كالحات ولا يلاقى الهوانا .»

الباب الأول

حصاد حق قدیم

الفصل الأول

أحلام العودة

تراود الصهاينة منذ اقدم العصور أحلام مثيرة حول أرض الميعاد ، ويتوقون الى اليوم الذى يستوطنون فيه أرض فلسطين ، والذى ظل خياله يداعبهم منذ قرون طويلة ومنذ أن أزال الرومان مملكة يهوذا من خريطة الوجود ، والتي كانت عاصمتها « اورشليم » وقد بث الآباء فى الأبناء عقيدة ظلوا يتوارثونها جيلا بعد جيل ، وهى أن فلسطين أرض يهودية ، وأن اليهود هم أول من استوطنوا أرض فلسطين . وهذه العقيدة تخالف الواقع وتجافى التاريخ ، وتحمل كثيرا من الخلط والشطط ، فأرض فلسطين كانت فى بداية الأمن موطناً للكنعانيين . بل أن التوراة - وهو كتاب اليهود المقدس - تعترف بأن فلسطين موطن الكنعانيين كما تصف الكنعانيين بأنهم من أصل عربى . ويؤيد الطبرى فى تاريخه هذه الحقيقة التاريخية التى لا تقبل الشك كما يؤيد ابن خلدون هذه الحقيقة .

ولم نقف الأمر عند المؤرخين العرب انما اعترف بذلك المؤرخ
الغربي رابوبور appoport في كتابه تاريخ فلسطين ، وباتو في
كتاب « التاريخ القديم لمصر وفلسطين » وبرستيد في كتابه « تاريخ
المصريين القدماء » وكانت ارض فلسطين تسمى « ارض كنعان »
وهؤلاء الكنعانيون كانوا يمثلون الموجة الثانية السامية التي هاجرت
من الجزيرة العربية حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م . وامتد سلطانهم حتى
مدينة حماه ، وظلت لهم السيادة حوالى ١٥٠٠ عام .

ويقول رابوبور « يرجع وجود السكان في فلسطين الى عهد
قديم جدا ، يقدره بعضهم بعشرة آلاف سنة قبل الميلاد ، وقبل ان
يضع اليهود اول قدم لهم في هذه البلاد كان مستوطنها بها اقوام
ذوو حضارة ومجد كالكنعانيين والحيتيين والفينيقيين والفلسطينيين
وغيرهم » .

ولم يكن العبرانيون اجداد اليهود من اصل فلسطينى انما كانوا
من البابليين الذين هاجروا من بابل واستوطنوا هذه البقاع من
الارض ، ولم يكونوا من الرواد الاوائل هناك ، انما وجدوا سكانا
اصليين غيرهم ، ولم يكن مجيئهم امرا طبيعيا ، انما كان مجيئهم امرا
مفتعلا ، فقد دخلوا البلاد عنوة وحربا مما جعلهم عنصريا دخيلا في
البلاد ، وجعل مجيئهم امرا غير مرغوب فيه ، ولم يكونوا على قدر
من المدنية او نصيب من الحضارة ، انما كانوا اقواما غير مهذبين ،
تبدو عليهم الفلظة ، والفظاظة ، وتتجلى في اعمالهم القسوة والعنف ،
افبقوا عشائر متنافرة متناحرة لا يربطها ، ولا يجمعها نظام .

واذا ما كان الصهانة يشيرون الى دولتهم القديمة في الشمال
او الجنوب وهى مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل ، فان هذه الدولة
اليهودية التى أسسها داود عام ١٠٤٩ ق.م . لم تشمل الا قسما
صغيرا من فلسطين ، ولم تعمّر طويلا بل عاشت في الشمال حتى
عام ٧٢١ ق.م . وفي الجنوب حتى عام ٥٨٦ ق.م . أى مدة تراوح

بين ٣٥٠ ، ٤٥٠ سنة فقط ، ثم تغيرت الأحوال ، وتبدلت الظروف ،
واندثرت ممالك ، وقامت ممالك أخرى والا كانت المناداة بعودة
الدولة القديمة. اشبه بالمناداة بعودة الدولة العثمانية مثلاً بحدودها
القديمة أو الدولة البيزنطية ، بل اشبه بالمناداة بدولة بروسيا مع
الفارق الكبير والبون الشاسع بين الطرفين ، والنقوت الزمنى
الرهيب بين الجانبين ، زد على ذلك أن اليهود عقب نقلهم الى بابل
فقدوا جميع عناصرهم القومية ولم يشاءوا العودة مرة أخرى الى
فلسطين انما آثروا البقاء في البلاد التي نرحوا اليها ، واختلطوا
بالاهالى ، وتقطعت الاسباب بينهم وبين وطنهم المزعوم .

ويقول المؤرخ رابوبور ان اليهود في بداية الامر لم يكونوا يفكرون
في انشاء هذا الوطن المزعوم بل نشأت في بابل منذ القرن السابع
قبل الميلاد فكرة ان يعيش اليهود بلا دولة وبدون ملك ومن غير
ارض لان ذلك ادعى الى قوتهم وسيطرته على الشعوب الاخرى ،
واحرص على مصالحهم واكثر ضمانا لمستقبلهم .

وتمضي السنوات تباعا حتى نصل الى القرن الثامن عشر
فيصدر بيان امريكى عام ١٧٧٥ كما يصدر قرار من المجلس الوطنى
الفرنسى فى ٢٩ سبتمبر عام ١٧٩١ ويلتقى البيان الأمريكى مع القرار
الفرنسى فى نقطة واحدة وهى ان الاسرائيليين لا يفكرون فى تكوين امة
بل يريدون ان يظلوا « طائفة دينية » فحسب .

وعندما ينعقد المؤتمر اليهودى عام ١٨٠٧ يتعرض لهذا الموضوع
فى كثير من الصراحة وكثير من الوضوح ، ويعلم فقهاء اليهود على
الملا دون خوف أو وجل بأنه ليس لليهود اى حق فى المطالبة بفلسطين
وأن عليهم أينما كانوا ان يلغوا من اذهانهم ويحذفوا من صلواتهم
وينفوا من اذهانهم كل ماله علاقة بالرجوع الى فلسطين أو تأسيس
دولة فيها .

ولكن هذا الضرب من التفكير لم يعجب طائفة أخرى من اليهود فظلوا يعملون على تحقيق مراميمهم القديمة ، ولم تكن قرارات مؤتمر باريس الا « حبرا على ورق » .

وكان هناك جانب من المتعصبين الذين يرون ارض الميعاد امرا لا مفر منه ولا محيص عنه ، وانهم في سبيل هذه الارض يضحون بكل مرتخص وغال . وقد طفق هؤلاء المتزمتون يرددون كثيرا من الآثار التي حفل بها الادب اليهودي ، مثال ذلك : « ان من سار اربعة امثار في ارض فلسطين خصه الله بمكان في الجنة » « واولى بك ان تعيش في صحراء فلسطين الجرداء من ان تعيش في قصر منيف » « وثواب العيش في ارض الميعاد يعادل ثواب طاعة الله في كل ما اوصى به موسى » « ومن كتب له ان يعيش في فلسطين محيت ذنوبه » .

وكان كثير منهم يرحل الى حائط المبكى حيث يدرف الدموع تهتاة في بقايا هيكل سليمان ، وحيث تنهمر العبرات اثناء الصلاة لطلب العودة الى تلك الديار واعادة بناء الهيكل .

وطالما ظل اليهود يرددون آثار عمالقة الادب الذين حدوهم بعطفهم ، وآثروهم بذكرهم ، ومنهم اللورد بيرون الاديب الانجليزى المعروف الذى قال « ان للحمامة البيضاء عشا صغيرا ، وللثعلب وكبرا ، ولكل انسان وطنه الا اليهود فلهم القبور » .

اما دزرائيلى فقد شمل اليهود بعطفه في ادبه ، وجعل قضية اليهود موضوعا من موضوعات اعماله الادبية وهو روايته « دافيد اكروا » الذى جعل بطلها يقول « تسألينى عن اعز امنية عندى » وجوابه : « هي ارض الميعاد وتسايلينى عما يداعب احلامي فاقول اورشليم وتسايلينى عما يستهوى فؤادى فاقول انه الكنيس ... » « اجل اريد كل ما فقدناه في سالف الزمان ، وما تهفو اليه نفوسنا » « وما جاهد اباؤنا واجدادنا في سبيل استرجاعه ، بلادنا الجميلة وعقيدتنا القدسية ، وعاداتنا البسيطة ، وتقاليدها القديمة ... » .

ظل كثير من المتزمتين يرددون أمثال تلك الأعمال الأدبية التي
تشيد بأرض الميعاد ، وظلوا يلقنونها لابنائهم ويتوارثونها جيلا بعد
جيل ظانين بذلك أنهم يستطيعون تحقيق هذه الأمنية التي تداعب
خيالهم وتراود أذهانهم .

ورفض الصهاينة أية بقعة في العالم غير « أرض الميعاد » ولهذا
كان ردهم على بريطانيا حينما عرضت عليهم أوغندا « ان أوغندا
ليست فلسطين » كما رفض الصهاينة أيضا استيطان جزيرة قبرص
أو غير ذلك من الجزر على أساس الحنين الى أرض الميعاد .

وقد أوضح وايزمان - وهو يناقش وعد بلفور - الجانب الروحي
في هذه القضية حين قال : ان الصهيونية حركة سياسية قومية .
ولكن لها كذلك ناحيتها الروحية ، وأثرنا بذلك الحاسة الدينية
عند اليهود ، وهل هناك ما يصلح لتحقيق هذا كله الا في فلسطين
كما قال وايزمان أيضا في مذكرته للورد جيمس آرثر بلفور « ليس
من حل لمشكلة اليهود الا بان يقام لهم وطن في فلسطين وأن يكون
الحجر الاساسي لهذا الوطن في فلسطين هو احياء لغة اليهود
وتقاليدهم » .

وهكذا كانت الأحلام تراود خيالهم وتداعب أفكارهم ، وتمتيعهم
بأرض الميعاد التي تؤرقهم بالليل وتقلقهم بالنهار ، ويتجلى طيفها
بخيال إبصارهم ، ويصرف عنهم لذيذ المنام وحلو الكرى .

الفصل الثانى

حرب عقائدية

هكذا كانت فكرة اقتصاب فلسطين ، وثمن حرب هجومية على العرب فكرة قديمة تاق اليها الصهاينة ، فاندفعوا فى حرب يرنويو من أجل تحقيق مرامهم والوصول الى امانهم . وقد زاد الطين بلة ان كتبهم المقدسة تدمو الى سيادة العنصر اليهودى على كافة العناصر البشرية ، وعلى رأس هذه الكتب « التلمود وهو أفضل فى نظرهم من التوراة ، حيث جاء فى صحيفة التلمود أن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ، ومن درس « المشنا » فعل فضيلة يستحق ان يكافأ عليها ، ومن درس « الجمارا » فعل اعظم فضيلة .»

والتلمود معناه بالعبرية « تعليم » وينقسم الى قسمين : القسم الأول يسمى « مشنا » ومعناه الدرس والمطالعة ، والقسم الثانى يسمى « جمارا » ومعناه الاتمام والتكميل .»

وهناك نسختان مختلفتان من التلمود أحدهما نسخة التلمود الأورشليمي وقد وضعه أحبار أورشليم في أواخر القرن الرابع الميلادي والتلمود البابلي وقد وضعه رئيس أكاديمية «سورة» بالقرب من بغداد في أواخر القرن الخامس .

وقد ظهر مفسرون كثيرون للتلمود في أوروبا بعضهم في فرنسا وبعضهم في إسبانيا كما ظهر بعضهم في فلسطين ، ونذكر منهم «ربي شلومو يصفاهي» مفسر الشريعة الذي ولد في مدينة «ترويز» بفرنسا .

وقد أشاد هؤلاء المفسرون بمنزلة التلمود أشادة كبيرة حتى قال أحد الكتاب الأوربيين ما يلي : «لا بد أن يأتى يوم يرى الناس فيه أن التلمود هو أهم كتاب في العالم» .

ويعتقد اليهود أن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار وأن أمه مريم آتت به من العسكري «باندارا» مباشرة الزنا ، وأن الكنائس النصرانية هي قاذورات ، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة ، وأن قتل المسيح من التعاليم المأمورة بها ، وأن العهد مع مسيحي لا يكون عهدا صحيحا يلتزم اليهود القيام به وأنه من الواجب ديننا أن يلعن اليهودى ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني إسرائيل .

وأولاد لوط في رأى التلمود هم الخارجون عن دين اليهود ، أما اليهود فأنهم أولاد إبراهيم .

وقال الراي «اليو» : سلط الله اليهود على أموال باقى الأمم ودمائهم ، كما جاء في التلمود «لا تظلم الشخص الذى تستأجره لعمل ما اذا كان من اخوتك» ، أما الانجلى فمستثنى من ذلك . وقد هرب الراي «مش» مثلا لذلك فقال «انى نظرت كرما حاملا ثوبا فأمريت خادمي ان يستحضر لى منه اذا ظهر انه ملك لاجنبى» .

والا يمسسه اذا ظهر انه تعلق يهودى » . كما اباح التلمود السرقة من الاجانب ، فاذا قال الحاخام : لا تسرق فان معنى ذلك عدم سرقة اليهودى ، اما الاجنبى فسرقة جائزة ، لانهم يعتقدون ان امواله مباحة ، ولليهودى الحق فى الاستيلاء عليها .

وقال : « ففكرن » : اموال المسيحيين مباحة لليهود كالأموال المتروكة أو كرمال البحر ، أول من يضع يده عليها يمتلكها .
كما جاء فى التلمود ان مثل بنى اسرائيل كمثل سيده فى منزلها يستحضر لها زوجها النقود فتأخذها دون ان تشترك معه فى العمل والتعب .

ويعتبر اليهود كل خارج عن مذهبهم غير انسان ولا يصح ان تستعمل معه الرافة ، ويعتقدون ان غضب الله موجه اليه وانه لايلزم ان تأخذ اليهود شفقة به .

وقال الحاخام « ابارئيل » ليس من العدل ان يشفق الانسان على أعدائه ويرحمهم .

وتعود الراى « كهانا » ان يسلم على الاجانب بقوله « الله يساعدكم » غير انه يضمم فى سره السلام لسيدته او لعلمه أو للأجنبى .

ويقول التلمود « من العدل ان يقتل اليهودى بيده كل كافر لان من يسفك دم الكافر يقدم قربانا لله » .

ويقول التلمود ايضا « ان الكفار ، كما قال الحاخام اليماذن » هم يسوع المسيح ومن اتبعه » .

اما قوله تعالى « لا تقتل » فقد فسرها « ميمانور » بقوله « ان الله نهى عن قتل شخص من بنى اسرائيل » .

وهكذا كانت العقيدة الدينية التى تنغلغل فى نفوس اليهود تدفعهم الى القتل وسفك الدماء ، وتحطيم كل القيم الاخلاقية ، وابادة كل فضيلة بين البشر ، وعندما ظهرت الصهيونية كمبدأ

سياسى ودعوة سياسية على يد هرتزل لم يتخل اليهود عن تلك العقيدة الدينية المتطرفة ، بل صاروا متعطشين الى الدماء ، تواقيين الى السفك والقتل والتشريد والتعذيب من اجل ابادة العنصر العربى وسيادة العنصر اليهودى .

وقد نهل الصهاينة من هذه التعاليم حتى الثمالة ، وقد بلغ من سخافة عقولهم ان اعتقدوا ان الجنس البشرى ينقسم الى قسمين يهود وجويم والجويم Goyem في عرفهم هم الوثنيون والكفرة ، وهم غيرهم من الاجناس كما يعتقدون انهم شعب الله المختار ، وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه العزيز « ردا على هذا الزعم الباطل والافك اللعين وهذا الضلال المبين » وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل انتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، والله ملك السموات والارض وما بينهما ، واليه المصير .

وهكذا يؤمن الصهاينة بانهم ابناء الله واحباؤه ، وغيرهم عباد اوثان وكفار ، وان نفوس الاسرائيليين وحدها مخلوقة من نفس الله وان عنصرهم من عنصره ، والله قد منحهم الصورة البشرية تكريما لهم ، وتعظيما لشأنهم على حين انه خلق غيرهم وهم « الجويم » من طينة شيطانية تختلف اختلافا كليا عن ارواحهم الطاهرة .

ولم يخلق الله الجويم - في عرف الاسرائيليين - الا لخدمتهم وحتى يسخرهم لخدمة هذا الجنس الاعلى ، ولم يمنح الصورة البشرية للجويم الا بالتبعية لليهود حتى يسهل التعامل معهم ، وحتى يمكن ان يوجد تفاهم بين الطرفين مع الفارق الشديد بين شعب الله المختار ، وغيره من الاشرار .

ولذلك كان لزاما على الاسرائيليين ان يعاملوا غيرهم معاملة البهائم والانجاس ، والاداب التى يتمسك بها الاسرائيليون لاستخدام الا فيما بينهم وبين انفسهم ، فهناك وفاء للعهد ، وحرمة

للقول ، واخلاص في العمل ، ولكنهم في حل من استخدام هذه الآداب فيما بينهم وبين غيرهم من الجويم ، فالخيانة محللة ، وعدم الوفاء بالوعد مشروع ، والفش والخداع والنميمة مباحة ، وهتك الأعراض ، واختلاس الأموال ، وقتل النساء والشيوخ والولدان ، أمر لاعتقاب عليه ولا غضاضة فيه ، وكذلك شهادة الزور لا اثم فيها اذا استخدمت ضد غيرهم من الاجناس ، بل ان شهادة الزور امر محتتم ومتفق عليه لانقاذ المجرم من التهمة ، وإبعاد الشبهة عن المذنب مادام يدين بعقائدهم الفاسدة .

وقد قامت الصهيونية على خلاصة هذه المعتقدات ، ووضعت مخططات توسعية كبرى من اجل ان تنفث سمومها في كل ارجاء العالم .

كما قامت الصهيونية لمواجهة العالم المسيحي فضلا عن الاسلامي ، وظهر كتاب أوربيون يعطفون على هذه الحركة ويؤيدون الصهاينة ضد الاسلام ومنهم لورنس براون في كتابه « طوائع الاسلام » Prospects of Islam الذي قال « ان اليهود لا خطر منهم ، والخطر الاصفر ، اى خطر الصين واليابان لا يهم لان الدول الديموقراطية تقاومه ، واما روسيا البلشفية فهي حليفنا وتحارب في صفنا ، ولكن الخطر الحق هو خطر الاسلام ، لما فيه من الحيوية الكامنة والقدرة على الانتشار والتسلط ، فهو السور المنيع امام الاستعمار » .

وقبل ان تعلن اسرائيل عن وجودها بخمس سنوات تكلم عنها المستر « جون فان ايس » Ess فقال انها ستشمل ارض الجليل ، وتصل الى شرق الاردن وخليج العقبة .

فالعداوة للعالم الاسلامي عداوة قديمة متغلقة في الصدور ، وكذلك تقوم عداوة الصهاينة للمسيحية والمسيحيين .

فان المسيح عندما رآهم متكبرين جاء الى العالم فقيرا ، يحب الفقراء ، وينصر الضعفاء ، ويقتطع من الاغنياء ، ولما رآهم مفتخرين

بالمدينة العظيمة « اورشليم » وبهيكل سليمان تنبأ عن خراب اورشليم كما تنبأ عن خراب الهيكل .

ولما رأهم يفتخرون بكونهم اصحاب الشريعة والناموس وبخهم الله على انهم افسدوا الشريعة والناموس ، وتقاليد آباءهم الاولين وقال لهم : انكم تعلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون » .

ولما رأى احتقارهم للعشارين قص عليهم مثل الفريسي والعشار والفريسي هو رجل يهودى متمسك متكبر ، والعشار في نظره رجل سارق ظالم قال لهم السيد المسيح ان اثنين دخلا الى الهيكل ليصليا احدهما فريسي والآخر عشار ، اما الفريسي فوقف في كبرياء وقال : « اشكرك يا رب انى لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناة ، اصوم يومين في الاسبوع ، واعشر جميع اموالى » اما العشار فوقف في انسحاق قلب لا يجرؤ ان يرفع عينيه الى السماء وقرع صدره قائلا : « ارحمنى يا رب فانى خاطيء » فخرج هذا العشار مبررا دون ذلك .

وقد اراهم ان ذلك الفريسي المتكبر المفتخر بنفسه الذى يعتبر انه افضل من غيره لا يمكن انثل هذا ان تصل صلاته الى الله ، بينما قبلت صلاة العشار الخاطيء المنكسر القلب المتواضع امام الرب . كل هذا ليربهم انه ليس بالعنصرية يخلص انسان ، لانه يهودى ، وانما يخلص بالايمان السليم ، والاعمال الصالحة ، وبغير ذلك فيهوديته لا تنفعه شيئا .

وقد مدح السيد المسيح المرأة الكنعانية ، وبنو كنعان من العرب فقال لها « عظيم هو ايمانك » متى ١٥ : ٢٨

وقد وبخهم السيد المسيح بقوله : اقول لكم ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغرب ، ويتكثرون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات واما بنو الملكوت « اى اليهود » فيطرحون الى

الظلمة الخارجية ، هناك يكون البكاء وصرير الاسنان . متى : ٨ :
١١ ، ١٢ .

واستمطر المسيح عليهم وعلى جيلهم عاقبة شرورهم واثمهم
وشرور آبائهم واثامهم « لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على
الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه
بين الهيكل والمذبح » . « الحق اقول لكم ان هذا كله يأتى على هذا
الجيل » متى ٢٣ : ٣٥ ، ٣٦ .

كما اشهد الجموع على معصية الجيل واصرارهم على المضى فى
تمردهم وتنبأ بالعقاب الذى كان حريا ان ينزل باورشليم وبخراب
بيت الرب فيها « يا اورشليم يا قاتلة الانبياء ، وراجمة المرسلين
اليها ، كم مرة اردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها
تحت جناحها ولم تريدوا ، هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » متى ٢٣ :
٣٧ ، ٣٨ .

ولم ينج المسيح من تعذيب اليهود له دون رحمة ودون
شفقة ، اذ خرج اليهود ورؤساؤهم المسمون بالفريسيين وتساورا
على السيد المسيح ليقتلوه متى ١٢ : ١٤ ، وذلك لان المسيح
اغاظهم بقوله « بمن اشبه هذا الجيل ، يشبه اولادا جالسين فى
الاسواق ينادون الى اصحابهم ويقولون زمرنا لكم فلم ترقسوا ،
ونحن لكم فلم تلطموا » متى ١١ : ١٦ ، ١٧ .

وقد كشف السيد المسيح نواياهم الخبيثة وخططهم الفادرة ،
وخداعهم وتضليلهم وزعمهم التقى وهم فى الضلالة يعمهون فقال
لهم : من الثمرة تعرف الشجرة يا اولاد الافاعى كيف تقدر ان
تكلموا بالصالحات وانتم اشرار ، الانسان الصالح من الكثر
الصالح فى القلب ، يخرج الصالحات ، والانسان الشرير من الكثر
الشرير يخرج الشرور متى ١٢ : ٣٣ ، ٣٥ .

وحفل الاصحاح الثالث والعشرون من « انجيل متى » بوصف
رائع لليهود على لسان السيد المسيح فقد خاطب يسوع الجموع

قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب اعمالهم لا تعملوا لانهم يقولون ولا يفعلون ، فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ، ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم ، وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس ، فيعرضون عصبانيتهم ويعظمون اهداب ثيابهم ، ويحبون المتكأ الاول في الولايم ، والمجالس الاولى في المجامع ، والتحيات في الاسواق : وان يدعوهم الناس سيدي سيدي .

ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تطوفون البحر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهم اكثر منكم مضاعفا .

ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون والمراءون لانكم تتقون خارج الكأس والصحفة وهما في الداخل مملوءان اختطافا ودعارة ، ايها الفريسي الأعمى نق أولا داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضا نظيا .

ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تمشرون النعنع ، والشبث والكمون ، وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والايمان ، وكان يجب وينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك ، ايها القادة العميان الذين يصفون البعوضة ويلعون الجمل » .

وهكذا كان المسيح يرى اليهود قوما ظالمين لسوء أعمالهم ونخسه تصرفاتهم فتأصلت العداوة في نفوسهم حياله وحيال العالم المسيحي اجمع ومع ان الديانة المسيحية لا تضطهد اليهودية كدين سماوي . انما تنتقد أعمال الكذابين والمرائين فقد عملت الصهيونية على زيادة الجفوة بين المسيحية واليهودية كما حاولت استغلال وثيقة التبرئة من اجل تحطيم العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والعرب وقد صرح على اثر ذلك مصدر فاتيكانى بأن دولة الفاتيكان مهتمة جدا بالاحتفاظ بعلاقاتها الوثيقة مع المسلمين في العالم

العربي وهي العلاقات المبنية على الفهم العميق المتبادل ، وبان دولة الفاتيكان برياسة البابا بولس السادس تقدر العرب تقديرا كبيرا ، وبان دولة الفاتيكان تؤيد حقوق اللاجئين الفلسطينيين العرب وتؤمن بشدة بان هذا الشعب يجب ان يعود الى وطنه . وبان دولة الفاتيكان تعتبر الصهيونية منظمة سياسية لها مطامع مؤذية ، ودولة الفاتيكان لا توافق على تصرفات الصهيونيين في انحاء العالم .

واشار هذا المصدر الفاتيكاني الكبير الى وثيقة التبرئة عن المجمع المسكوني والتي تحدد علاقة الكنيسة المسيحية بالديانة اليهودية فقال : ان دولة الفاتيكان قد احتجت بشدة على اسرائيل عندما استخدمت هذه الوثيقة في اذاعتها وصحفها لأغراض الدعاية ، وان فكرة هذه الوثيقة ليس لها اى هدف سياسى وانها لا تبرئ اليهود من مسئولية صلب المسيح .

وهكذا كانت الاديان لعبة في أيدي الصهاينة من اجل تحقيق مطامعهم وتنفيذ خططهم فلا غرو ان يصف رب العالمين اجدادهم الأولين بقوله في سورة الفاتحة « غير المغضوب عليهم » ، فقد اجمع المفسرون على ان المغضوب عليهم هم اليهود .

كما اشار الله عز وجل في كتابه العزيز الى نفاقهم وريائهم ، وانهم يقولون مالا يفعلون ويدعون الناس الى الايمان وهم غير مؤمنين فقال تعالت صفاته وجلت آياته « اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ، واستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملائكة ربهم وانهم اليه راجعون » ، سورة البقرة ٤٤ - ٤٦ .

ورغم ان الاسلام ينظر الى اليهودية نظرة سمحة كريمة لانه دين لا يدعو الى الاضطهاد ، ويكفل حق العبادة لغير المسلمين ، لان الصهاينة شنوا حربا شعواء على الاسلام والمسلمين ، وتبورت هذه العقائد الدينية في اتجاهاتهم السياسية ، حتى غدا الصراع

بينهم وبين العرب صراعاً دينياً في نظرهم يبدلون من أجله النفس والنفيس . بل أنهم شعروا بأنهم جنس شاذ مفقود بين العالم المسيحي والعالم الإسلامي ، فلبجأوا إلى الرياء ، والنفاق ، ومداهنة القادة والزعماء ، من أجل اجتلاب العطف والرضاء ، والحصول على المنح والاعانات ، والتزود بالأسلحة والمعدات ، ووسيلتهم إلى ذلك العطف والاستكانة ، والخضوع والركوع والزفراء والدموع . كما أن وسيلتهم أيضاً المال ، فالمال في رأيهم المحرك الأول للشعوب ، ومتى قبضوا على أئنة الاقتصاد في دولة من الدول استطاعوا خنقها اقتصادياً عند اللزوم ، كما أن وسيلتهم كذلك النساء ، فإن المرأة تستطيع بما ملكت من أسلحة الجاذبية والإغراء أن تستولي على الأسرار وتفشع الاستار ، وتسرق مفاتيح الحصون ، وتقوم بدور كبير في جمعية « عشاق صهيون » (١) .

● جمعية يهودية سبقت الحركة الصهيونية وكانت تهدف إلى إحياء اللغة العبرية والدمومة إلى الهجرة إلى فلسطين ، واستعمار أراضيها .

الفصل الثالث

زحف صهيوني

كانت جمعية « عشاق صهيون » ارهاصا للحركة الصهيونية الكبيرة فقد عقدت مؤتمرين أحدهما في عام ١٨٨٤ والثاني بعد المؤتمر الاول بثلاث سنوات اى في عام ١٨٨٧ وتقرر في هذين المؤتمرين تمويل المهاجرين بالمال لشراء اراض جديدة ، وانشئت فروع كثيرة في مختلف بلدان اوربا لهذه الجمعية فكان لها فرع في روسيا وفرع في رومانيا وفرع في النمسا كما انشئت جمعيات اخرى على غرارها منها جمعية « كاديناخ » التى تولى رئاستها صحفى يدمى « بيرنوم » ويرجع اليه الفضل في ابتكار الحركة الصهيونية ، اما في المانيا فقد تكونت جمعية اخرى آزرت جمعية « عشاق صهيون » ، في مهمتها برئاسة « ليوموتسكين » وكان من اعضائها « حايم وايزمان » الذى اصبح فيما بعد اول رئيس

لدولة اسرائيل . كما تألفت جمعيات أخرى في إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية .

ثم عقد اول مؤتمر صهيوني عالمي لليهود في مدينة « بال » في سويسرة في شهر أغسطس عام ١٨٩٧ وفيه وضع اليهود اسس المنظمة الصهيونية العالمية وبرنامج الحركة الصهيونية التي تتمثل في استعادة ارض الميعاد او مملكة اسرائيل بحدودها المزعومة . وقد قرر الصهيونيون على اثر ذلك المؤتمر ايقاظ الوعى القومى بين يهود العالم ، والقيام بالسعى لدى الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق اهداف الحركة الصهيونية الكبرى التي يحملون بها ويسعون اليها، ومنذ ذلك التاريخ أصبح لفظ « صهيونى » يطلق على كل من يعتنق المبادئ التي وضعت في هذا المؤتمر ويكتب سنويا بمقدار « شيكيل واحد » أى مايعادل نصف دولار .

وفي صيف عام ١٨٩٨ عقد المؤتمر الثانى في مدينة « بال » ايضا برئاسة هرتزل وحضره ٣٤٩ مندوبا كان بينهم عدد من رجال الدين اليهودى حتى يعطى هرتزل للمؤتمر طابعا دينيا ، ووقارا رسميا ، وأصدر هذا المؤتمر مجموعة من القرارات كان على رأسها تأسيس شركة كبرى للاستعمار اليهودى في فلسطين وتشجيع الجمعيات العاملة في نشر اللغة العبرية بين يهود العالم . وقرر المؤتمر أيضا تنظيم الدعاية الصهيونية حيث أدرك أهميتها في اقناع العالم بوجهة نظر المؤتمر ، وتركيز شراء الاراضى في فلسطين وحدها مع بناء مستعمرات للعمال فيها .

وفي عام ١٩٠٠ عقد المؤتمر الرابع برئاسة هرتزل في مدينة لندن حيث رأى المؤتمر ضرورة استنهاض همة بريطانيا لتأييد الحركة الصهيونية ، وكما تضغط على الدولة العثمانية من أجل تمكين اليهود من شراء الاراضى في فلسطين وقد أقر هذا المؤتمر مشروعاً بتأسيس الصندوق القومى اليهودى « كيرن كاييت » .

ثم اتصل هرتزل على أثر ذلك بالسلطان عبد الحميد ، وحاول أن يجلبه الى صفه بغية تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين وإتقاء اعطائهم نوعا من الاستقلال الذاتى بيد ان هرتزل فشل فى هذا المجهود اذ تنبه العرب لما يحكيه من مؤامرات فى الظلام من أجل الاعتداء على حقوقهم المشروعة فى فلسطين .

وتوفى هرتزل عام ١٩٠٣ وكادت الحركة الصهيونية تخمد انفاسها لولا ان الاستعمار اخذ يناصرها ووهب لها الحياة مرة اخرى .

وظهرت نوايا الاستعمار المنحازة الى اسرائيل فى شتى التصرفات الرسمية وغير الرسمية اذ قدم « هربرت سبنسر » من اقطاب الصهاينة الانجليز مذكرة الى الحكومة البريطانية اثناء الحرب العالمية الأولى وعرض فيها مشروعا لتأسيس دولة يهودية فى فلسطين تحت اشراف بريطانيا ، يأوى اليها ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود المشردين فى أوروبا .

واتضح نيات الاستعمار واضحة جلية للعيان فى هذه المذكرة التى ختمها الداعية الصهيونى « هربرت صمويل » بقوله :
« وبذلك نكون قد أقمنا بجوار مصر ، وقناة السويس دولة جديدة موالية لبريطانيا » .

واستطاع اليهود انتزاع وعد بلفور فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ بعد ما تمكن وايزمان بعد وفاة الداعية « هرتزل » من الاتصال برعماء الانجليز ، وأقنعهم بأنهم اذا ما وعدوا اليهود بفلسطين لتكون وطن قوميا لهم اجتذبوا لامجالاة قلوب يهود العالم ، وقام يحدث يهود المانيا أمرا يرغبون فيه حكومة المانيا على انتهاء الحرب أو التسليم .

والغريب ان لورد بلفور منح الوعد لليهود دون أى سند قانونى أو حجة مشروعة ، فلم تكن فلسطين من املاك بريطانيا حتى يحق له ان يتصرف فيها فهو كمن يهب مالا ليس لديه فيه شئ !

وجاء في التصريح : « تعتزم الحكومة البريطانية اقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين وستبدل كل ما لديها من جهود فى سبيل تحقيق هذه الغاية علما بأن حكومة جلالة الملك لن تقوم بشيء من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ، ولا بحقوق اليهود واطوائهم السياسية الذين يعيشون فى أى بلد آخر » .

وبذلك اعطى من لا يملك وعدا ان لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان من لا يملك ومن لا يستحق بالقوة والخديعة ان يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه فيما يملكه وفيما يستحقه .

وتلك كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى رسالته الى الرئيس الراحل جون كيندى « وهى الصورة الحقيقية لوعده بلفور الذى قطعه بريطانيا على نفسها واعطت فيه من ارض لا تملكها وانما يملكها الشعب العربى الفلسطينى عهدا باقامة وطن يهودى فى فلسطين » .

وقد اذكى هذا الوعد همة الصهاينة وضاعف جهدهم فى سبيل الصمود امام العرب .

وقد جرى حديث فى الرابع من ديسمبر عام ١٩١٨ بين اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا ووايزمان وصرح الاخير على اثره بقوله كما جاء فى مجموعة الوثائق الصهيونية التى عثر عليها :

« وقد بينت للورد ان اقامة مجتمع يضم اربعة او خمسة ملايين من اليهود منها ان ينتقلوا بطريق الاشماع الى الاجزاء الباقية من الشرق الادنى وان يسهموا اسهاما ضخما فى اعادة بناء تلك البلاد التى كانت مزدهرة فى يوم من الايام » كما يمضى وايزمان قائلا للورد بلفور :

« لكن هذا العمل يتطلب اول ما يتطلب تنمية الوطن القومى اليهودى فى فلسطين تنمية حرة وغير مقيدة بحيث تتمكن من اسكان

اربعة ملايين أو خمسة ملايين من اليهود في فلسطين في غضون
جيل واحد ، فتجعل من فلسطين بلادا يهودية في ظل التاج
البريطاني » .

ثم يقول وايزمان بعد ذلك « وقد اقنعت اللورد بان ما يسمى
بالاستعمار ليس الا الصهيونية بعينها » .

ويشرح لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية في تلك الاونة «
الظروف والملايسات التي احاطت باعلان هذا الوعد Balfour
Declaration فيقول « كان اعلان تصريح بلفور امرا اقتضته
موجبات الدعاية ، وكان الرومانيون قد سحقوا ، كما كانت معنويات
الجيش الروسى قد اخذت في الانحلال ، ولم يكن في وسع الجيش
الفرنسى وقتذاك ان يقوم بهجوم واسع المجال ، وكان الايطاليون قد
فشلوا فشلا مروعا في موقعة « كابوريتو » كما كانت الفواصات
الالمانية قد اغرقت ما تبلغ جملته ملايين الاطنان من السفن
البريطانية : ولم تكن الفرق الالمانية قد وصلت بعد الى الخنادق »
وفي تلك الساعة الحرجة ساد الاعتقاد بان اكتساب عطف اليهود
او مناوآتهم قد يكون له اثره الفعال في توجيه كفة الميزان ، نحى
قضية الحلفاء او ضدهم ، ثم ان عطف اليهود من شأنه على الاخص
ان يضمن معاضدة اليهود في امريكا ، ويجعل من الصعب على
المانيا تخفيف قواها العسكرية ، وتحسين وضعها الاقتصادي
في الميدان الشرقى » .

واضاف رئيس الوزارة البريطانية قائلا : « ان الزعماء الصهاينة
قطعوا لنا وعدا اكيدا قال انه اذا اخذ الحلفاء على عاتقهم تسهيل
انشاء وطن قومى لليهود في فلسطين فانهم سيعملون كل ما في
وسعهم لايقاظ عاطفة اليهود في كافة انحاء العالم وتاليبهم لمعاوضة
قضية الحلفاء ، وقد بروا بوعدهم هذا » .

كما صور ارنولد توينبي في كتابه « دراسة في التاريخ » هذه الظروف التاريخيه بقوله : لقد اظهرت الحرب العالمية الاولى عاملا سياسيا في الميدان وهو التنافس بين المتحاربين على كسب ود اليهودية العالمية ، فان كسب التأييد اليهودي بل واكثر من ذلك تجنب العداوة اليهودية كان أمرا على جانب عظيم من الأهمية للفريقين ومع ان تحرر اليهود النفسى من سفاهم في الغرب لم يكن قد تم ، فان تحررهم الاقتصادى والسياسى في ذلك الوقت كان قد قطع لشرطا بعيدا في تقدير اصوات اليهود ومنحها وزنا هاما بل وربما حاسما في ميزان القوة الدولى المضطرب .

لقد اصبح اليهود الآن قوه يحسب حسابها في الحياة السياسية القومية لدى دول وسط اوربا وغربها على السواء وفي الولايات المتحدة كانت قوتهم لا تزال على مدى اوسع كثيرا ، وقد بلغ نفوذ يهود امريكا حدا عظيما في عين المتحاربين في اوربا الذين بداوا يتحققون ان الكلمة الاخيرة في النزاع ستنتطق بها امريكا وان هذه الكلمة الامريكية الاخيرة قد تتأثر بصورة ملحوظة بآراء المواطنين من يهود امريكا .

هذه هى الظروف التى احاطت بصدور وعد لورد بلفور لليهود : وعندما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها في ١١ نوفمبر هام ١٩١٨ واسفرت عن انتصار بريطانيا وحلفائها بدأت الدول الكبرى في عملية توزيع الفنائم وتقسيم التركة ومناطق النفوذ ، وحضر امام مؤتمر الصلح وفد يهودى كان من بين اعضائه البارزين حايم وايزمان الذى اعلن صراحة عزم اليهود على اقامة وطن قومى لهم في فلسطين .

وفي ابريل عام ١٩٢٠ وقعت في سان ريمو معاهدة الصلح مع تركيا وادمج فيها وعد بلفور حيث اعتبر جزءا لا يتجزأ من المعاهدة . وكان اول عمل اقدمت عليه بريطانيا هو تعيينها هربرت سمويل مندوبا ساميا على فلسطين في يوليو عام ١٩٢٠ فتسلم

الإدارة في ظل الحكم العسكرى . وظل ينفذ المخططات الصهيونية على اوسع نطاق .

واعتبر هربرت صمويل اللغة العبرية لغة رسمية بالإضافة الى الانجليزية والعربية كما سهل الهجرة الى فلسطين فكان اليهودى يتسلم جواز سفر فلسطينيا وهو لا يزال في المانيا او بولندة او امريكا ويستطيع ان ينتقل بمقتضى هذا الجواز الى فلسطين حتى يغدو فلسطينيا . كما سهل لليهود شراء الاسلحة واقتطاع الاراضى واسس الوكالة اليهودية واعتبرها ممثلة لليهود وناطقة باسمهم وكانت في واقع الامر حكومة يهودية ذات اجهزة كاملة .

وقد استمر انتداب هربرت صمويل خمسة اعوام قدم في نهايتها تقريراً مفصلاً عما انجزه من أعمال في صالح اليهود ومنها ان الاراضى التى كانت في حوزة اليهود قد تضاعفت مساحتها وانه سمح بانشاء شركة كبرى براسمال قدره مليون جنيه لتوليد الكهرباء .

وبعد انتهاء فترة انتداب المندوب السامى هربرت صمويل تعاقب عدد آخر من المندوبين السامين الذين كان هدفهم الاول والاخير هو تهويد فلسطين بأدق معانى هذه الكلمة ، واوسع مدلولات هذا اللفظ .

وقد ثار الشعب العربى في فلسطين من جراء هذه المؤامرات على حقوقه وقامت مظاهرة حامية في القدس في ابريل عام ١٩٢٠ كما اندلعت ثورة اخرى في يافا في مايو عام ١٩٢١ واستمرت اسبوعين وانقض العرب خلالها على مركز الهجرة الصهيونى وعلى بعض المستعمرات اليهودية بين يافا وطولكرم .

وفي ٢٣ اغسطس عام ١٩٢٣ شبت ثورة عارمة استمرت خمسة عشر يوما واشتد غضب العرب وهم يرون افواجا تلو افواج تصل الى فلسطين من يهود المانيا واوروبا الشرقية .

واشتدت ثورة غضب الشعب العربي في المظاهرة الكبرى التي وقعت في القدس بعد صلاة الجمعة في يوم ١٣ أكتوبر عام ١٩٣٣. وقد ظلت هذه الثورة ستة أشهر كاملة ، واستشهد في هذه الفترة أكثر من ألف شهيد .

وقد أعلنت إنجلترا انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين كما قررت الانسحاب منها في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ بعد أن مكنت اليهود من احتلال معظم مدن فلسطين ومساحات شاسعة من أراضيها زادت كثيرا عن الأراضي المخصصة لليهود في قرار التقسيم . وعلى اثر ذلك أعلن اليهود انشاء دولة اسرائيل وسرعان ما اعترفت الولايات المتحدة الامريكية بانشائها وقال الرئيس الامريكي هاري ترومان عقب اعلان دولة اسرائيل « اني اتقدم الى العالم بشعب يستاهل الحرية والحياة اننا نعتز باسرائيل ونفخر باننا كنا اول من مد لها يده ، واقتنعا الأمم المتحدة بوجود قرار مبدأ التقسيم ، اننا نوافق على اسرائيل بحدودها التي هيئتها الأمم المتحدة في قرارها ، ونرى انه لا يجوز تعديل هذه الحدود الا بموافقة اسرائيل ، اننا نتطلع الى اليوم الذي تجلس فيه اسرائيل معنا في الأمم المتحدة ، ونأخذ على عاتقنا مساعدتها في النهوض باقتصادها ونود أن نعيد النظر في امر حظر الاسلحة حتى نهيب لاسرائيل فرصة الدفاع عن النفس ، انني اعاهد نفسي على شدد أزر اسرائيل حتى تصبح بلدا كبيرة حرة مستقلة قادرة على كفاية نفسها » .

وغنى عن البيان ان الولايات المتحدة الامريكية كانت ملتزمة بتحقيق ذلك كله لاسرائيل ، وقد وفيت بوعدا ازاء اسرائيل وقد كتب الاستاذ عباس محمود العقاد على اثر ذلك يقول « لقد اعترف الرئيس ترومان باسرائيل قبل أن ينقضي ربع ساعة على اعلانها . وكانت دولة لاتعرف لها حدود ولا رعية ونحن نعتقل ان « ترومان » يهودي اصيل وليس قصارى الامر انه نصير محبيب

للـيهود ، نعتقد ذلك ونستند فيه الى قرائن قوية يشف عنها اسمه واسماء أسرته كما تشف عنها نشأته وبعض اخباره التي دونها مترجموه . فاسم ترومان من اسماء اليهود الاولى ، واسم ترومان الاول هارى ، واسم جده سولون ، واسم جده لاه هاريت ، وكانت تسمى ذات الرأس الاحمر وهو لون من ألوان الشعر يكثر عند اليهود .

واسم زوجته بيس Bess وهو ترخيم الياصبات في اسماء التوراة ، واسم ابها ديف Dave وهو ترخيم دافيد ، وقد كان عمله قبل العشرين « مسك الدفاتر » وكان شريكه في الكانتين الذي اداره يهوديا يسمى « جاكسون » وقد ترجم حياته اثنان في كتاب سمياه « هذا الرجل ترومان » فقالا في اخباره ان احب اسفان التوراه اليه سفر الخروج وهو الذي يعتبره اليهود كتاب الخلاص ويجعلون الخروج من مصر لهذا السبب اكبر الاعياد .

ووقفت خلف ترومان جمعيات يهودية كثيرة اعلنت اعترافها بالدولة الجديدة ، وقدم اليها كثير من الرياء امريكا الامانات والهبات وطاف عدد كبير من الفنانين يجمعون الاكتنابات لاسرائيل .

واجتمعت على اثر ذلك اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية واصدرت قرارا في ١٢ ابريل ١٩٤٨ بالتدخل بالجيش العربي لانقاذ فلسطين ، وحددت يوم ١٥ مايو يوم اعلان انشاء اسرائيل موعدا لحركة هذه الجيوش .

ونشب قتال مرير بين العرب واليهود ، وكانت الجيوش العربية قاب قوسين أو ادنى من تل ابيب لولا تدخل مجلس الامن بايعاز من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وقرر إيقاف اطلاق النار بين الطرفين المتحاربين .

وقد قامت اسرائيل بخرق شروط الهدنة بين العرب واسرائيل مرات متوالية وعززت اسرائيل قواتها العسكرية وجلبت الكثيرين

من المتطوعين والجنود المحترفين واستؤنف القتال مرة أخرى ، ثم
تقرر إيقاف إطلاق النار ، حتى تم توقيع هدنة دائمة مع اليهود لم
يحترم الاسرائيليون نصوصها بل اهدروا موادها بخستم وعدوانهم .
وقد كتب الرئيس جمال عبد الناصر في مذكراته أثناء حرب
فلسطين ما يلي :

« كانت شعوبنا جميعها تبدو في مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة
محبوكة اخفت عنها عمدا حقيقة ما يجري وضللها حتى عن وجودها
نفسه ، وكنت موقنا من ان الذي يحدث لفلسطين كان يمكن ان
يحدث لاي بلد في هذه المنطقة ما دام مستسلما للعوامل والعناصر
والقوى التي تحكمه الآن . ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك في
فلسطين وعدت الى ارض الوطن كانت المنطقة كلها في تصوري قد
اصبحت كلا واحدا ، وايدت الحوادث التي جرت بعد ذلك هذا
لاعتقاد في نفسي ، كنت اتابع التطورات فيها فاجده اصداء
متجاوب مع بعضها البعض ، فالحادث يقع في القاهرة فيقع مثيل
الله في دمشق غدا ، وفي بيروت وعمان وبغداد وغيرها ، ومن هنا
يجاز لنا القول ان فلسطين كانت عاملا في بعث القومية العربية » .

وهذه الحقيقة التي اوضحها جمال عبد الناصر هي التي اقلقت
مضاجع اسرائيل وجعلتها تفكر في امر هذا التيار الجارف وهذا
السيل العارم الذي تدفق بين الشعوب العربية وهو القومية
العربية . التي ابنت الدلة والاستكانة وتطلعت الى يوم الخلاص
وساعة التحرير بصبر وشوق شديد .

الفصل الرابع

محاولة تحطيم القومية العربية

قلت في مطلع هذا الكتاب أن حرب يونيو لم تكن حرباً عفوية
بجامت مصادفة واعتباطاً كما نشبت قدراً وقضاء ، إنما كانت حرباً
مدبرة ترمى إلى أهداف بعيدة ، وتستهدف إلى تحقيق نوايا خبيثة .
وتضيف هنا أن هذه الحرب حاولت أن تقضى على تكتل الشعوب
العربية في هذه المنطقة من العالم واعنى بها منطقة الشرق الأوسط
أكما حاولت أن تثير جفوة بين البلاد العربية ، وتقيم خلافاً كبيراً
بين قادة وساسة هذه البلاد ، وغاب عن إسرائيل في عدوانها أن
القومية العربية حقيقة واقعة منذ فجر التاريخ لا سبيل إلى
تجاهلها أو إنكارها ، والروابط التي تربط الأمة العربية منذ القدم
وثيقة المرى ، وهناك مقومات مادية وهى البيئة الجغرافية والجنس
والمكان ، ومقومات معنوية وهى اللغة والعادات والتقاليد والحكومة
والدين . وقد كانت اللغة العربية ولا تزال رابطة متينة تدعم القومية

العربية كل التدعيم ، فيها نزل القرآن الكريم ، وبها كتب تاريخ العرب ، وبها نظم شعراء العرب منذ أعماق العصور الجاهلية أشعارهم وخطب خطبائهم ، ونثر كتابهم ، وحررت مؤلفاتهم وقد سهلت وحدة اللغة التفاهم بين الشعب العربي في الوطن العربي كله ، وقد كانت في سويسره ثلاث لغات كما كانت في بلجيكا لغتان ، فكان هذا الاختلاف اللغوي مدعاة لانهايار القوميات في تلك البلاد على العكس من الأمة العربية التي سادت فيها اللغة العربية ، الفصحى ، فكانت اللسان الناطق بمشاعرهم وخواطرهم وأفكارهم وكانت لهم ثقافة واحدة .

والقومية العربية امتياز على القوميات القديمة العهد كالصينية والهندية وذلك أن هاتين القوميتين تنقصهما الوحدة التي تمتاز بها القومية العربية من ناحية اللغة على الأقل اذا لم نقل من ناحية طراز التفكير والشعور العام الاجتماعي ايضا .

وقد استطاعت اللغة العربية أن تنتصر على كل اللغات المنتشرة في العالم العربي بعدما كانت الدواوين تكتب باللغة اليونانية او القبطية في مصر ، كما كانت تستخدم اللغة اليونانية في الشام واللغة الفارسية في العراق ، واضلر الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان امرا باستخدام اللغة العربية في شتى اعمال الدواوين فكان هذا الامر سببا في توطيد اللغة العربية في اركان الوطن العربي كما دفع الناس الي تعلمها ودراستها لان كل فرد يتصل بأى نوع من انواع المعاملة مع دواوين الدولة سنواء في بيع او شراء ، او وقف او ما الى ذلك فكان يرى أن من الضروري تعلم هذه اللغة حتى يستطيع أن يساير ركب القومية العربية من جهة ويفهم ويتعامل مع المسؤولين من جهة أخرى .

وقد كان لانتشار اللغة العربية اثر كبير في تثبيت دعائم القومية العربية فوق ان الجنس البشرى الذى انتشر في شتى أرجاء الوطن

العربي جنس واحد ، وقد تبعته الحملات التحريرية العربية هجرات متواصلة ، وقد استقرت هذه الهجرات في مصر والشام وفي غيرهما من الاجزاء في شمال افريقيا ، وانساحت في مختلف انحاء الوطن العربي ، وكانت هذه الوفود المهاجرة تستقر في جوانب الوديان الخصيبة ثم لم تلبث ان توغلت في هذه الوديان واندمجت مع الاهالي ، وتزاوجت وتناسلت وكثرت اعدادها بصورة واضحة .

ورغم ان العرب فتحوا فارس وما يليها شرقا ، فان فارس لم تصبح ارضا عربية ، انما وقفت الحدود العربية عند العراق وخليج البصرة شرقا ، والمحيط الاطلسي غربا ، وقد فتح العرب الاندلس وجزر البحر الابيض المتوسط بيد ان هذه البلاد لم تصبح ارضا عربية لان الهجرات التي خرجت من الجزيرة العربية سكنت العراق والشام ومصر وما يليها غربا ، ولكنها لم تقدم لتسكن فارس وما يليها شرقا في مثل الصورة التي تمت في البلاد العربية .

وقد مر الوطن العربي كله بمحن وارزاء متشابهة وخاض كفاحا مريرا ضد الاستعمار واعوان الاستعمار حتى استطاع ان يخرج من هذه الازمات مرفوع الرأس موفور الكرامة .

وفي القرن الثاني عشر الميلادي انتصر عماد الدين زنكي ومن خلفه الامة العربية جميعا على الصليبيين في عام ١١٤٤ م وردهم من امارة الرها التي كانت من امتهن الحصون الصليبية كما انتصروا صلاح الدين الايوبي في يوليو عام ١١٨٧ م على الصليبيين في معركة حطين انتصارا كبيرا ، واستطاع ان يعيد بيت المقدس ولكنه عندما دخل بيت المقدس في ٢٧ رجب عام ٨٥٣ هـ لم يستخدم القوة ولا الارهاب ، انما عامل اهل المدينة معاملة طيبة كريمة ليس فيها عنف ولا ضغط ولا اكراه ، حتى كتب « ونسمان » في كتابة عن الحروب الصليبية ان صلاح الدين صادف عند دخول بيت

المقدس عددا كبيرا من النساء آتين اليه والدموع تملأ عيونهن ،
وطلبن منه الرحمة بهن ، وبألنه كيف يصنعن وقد قتل أزواجهن
أو أبأوهن أو وقعوا في الاسر ، فأخذت الشفقة قلب صلاح الدين
وأمر بإطلاق سراح كل زوج أسير ، أما الأرامل واليتامى فأمر
بصرف إعانات لهن تتناسب مع مكانتهن الاجتماعية ، على أن تكون
هذه الإعانات من حرمه .

ويؤكد « ونسمان » أن عطف صلاح الدين وعفوه كانا يتباينان
تباينا واضحا مع تصرفات الصليبيين في حملتهم الشعواء .

ولقد كان انتصار صلاح الدين يعزى الى تكاتف العرب
وترابطهم في شتى أنحاء الوطن العربي ، بل أن الملك الناصر فرج
في مصر هرع لنجدة أهل الشام ضد تيمورلنك فيما بعد ، مما يؤكد
ترابط الوطن العربي فترة طويلة من تاريخه .

وفي معركة « عين جالوت » التي تمت في ٣ سبتمبر عام ١٢٦٠
انتصر العرب ضد التتار انتصارا مبينا بفضل تعاونهم في رد العدو
الغاصب خلف قائدهم الظاهر بيبرس .

وفي العصر الحديث مر الوطن العربي بنفس المحنة التي ابتلى
بها في القرون الوسطى . فمما أن تأسست شركة الهند الشرقية
وانشأت ثغر « سوربات » على ساحل الهند الشمالي الغربي ثم
وضعت أنجلترا أيديها على الهند بدأت تفكر في الوطن العربي وتعتبره
طريقا مؤديا الى مستعمراتها ولقمة سائفة تستولى على خيراتها
فشنت حملة فريزر المعروفة على مصر عام ١٨٠٧ بيد أنها باءت
بالخسران العظيم بعد ما واجهت خسارة فادحة في الأرواح والأموال
ووقف الشعب المصري أمامها وقفة بطولية مشهورة في التاريخ ،
ثم فكرت فرنسا في أن تجرب حظها وتحقق أحلام الإمبراطورية
التي تراودها ، وأرسل نابليون بونابرت حملته على البلاد بيد أن

القاهرة ثارت في وجهه مرتين ، واندلع من القاهرة لهيب الثورات حتى اجتاحت الوجه البحرى كله ، والوجه القبلى برمته ، وسارع الاطفال والنساء الى حمل الاسلحة والبنادق والهرارات بجانب الرجال والشباب حتى انتهى الامر برحيل الحملة من مصر مخذولة مدحورة .

ثم سارع الانجليز باحتلال بعض الموانع العربية التى تحمى امبراطوريتهم فى الشرق ، فاحتلوا المدخل الجنوبى للبحر الاحمر واستولوا على جزيرة « برىم » وميناء عدن عام ١٨٣٩ ثم فرضوا حمايتهم بالتدريج على تلك المناطق التى اطلقوا عليها الحميات . كما ضغطوا على امير مسقط لتوقيع معاهدتين عام ١٧٩٨ وعام ١٨٠٠ واقاموا لهم وكالة سياسية فى بغداد عام ١٧٩٨ ثم احتلوا مصر عام ١٨٨٢ واحتلوا السودان باسم الحكم الثنائى عام ١٨٩٩ .

ولما قامت الحرب العظمى الاولى عام ١٩١٤ اعلنت انجلترا الحماية على البلاد كما اعلنت حمايتها على الكويت والمناطق المحيطة بالخليج العربى بعد ان بدأت تبشير البترول تظهر فى هذه المناطق وعقدت انجلترا معاهدة حماية مع الكويت عام ١٩١٤ ومع نجد عام ١٩١٥ ، ومع قطر عام ١٩١٥ .

وفى نفس الوقت كانت فرنسا تسعى الى تحقيق حلمها الكبير بتأسيس امبراطورية فى الشرق فقامت باحتلال الجزائر عام ١٨٣٠ وتونس عام ١٨٨١ واحتلت ايطاليا ليبيا عام ١٩١١ ومن اجل ان تتم المؤامرة ولا تثار الفتنة ولا القلاقل . . ومن اجل ان تنسب يد الاستعمار اظافرها فى فريستها دون مضايقات عقدت فرنسا وانجلترا اتفاقا ثنائيا عام ١٩٠٤ على تقسيم الفنائم بين الطرفين فلا تعرقل فرنسا الاحتلال الانجليزى لمصر فى مقابل اعتراف انجلترا بفرض سيطرتها على المغرب .

ومنذ ذلك التاريخ أخذ العالم العربي يمتحن بنفس المحنة ضد قوى الطغيان ، والاستعمار وأعوان الاستعمار ، وبدأ الشعب كفاحه المتصل بالعرق والدم والدموع دون تلكؤ أو احجام ودون ضعف أو تهاون .

وصاحبت الحركة التحررية حركة فكرية ممتدة ، وظهرت طائفة من المفكرين الاحرار في الوطن العربي منهم جمال الدين الأفغاني والامام محمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبي مؤلف مصارع الاستبداد ، وام القرى .

كما ظهر في الوطن العربي ابطال يدافعون عن حقوقه ويكافحون من عروبتهم نذكر منهم السيد عمر مكرم الذي وقف امام الفرنسيين في مصر ، والامير عبد القادر الجزائري الذي هب مع الشعب العربي في الجزائر لمقاومة الاستعمار ، وطفقت السنوسية تقوم بحركة واسعة لتعبئة قوى العرب ضد الاستعمار ، واصطدمت بالفرنسيين ثم الايطاليين فلم تلق لها قناة ، ولم يهن لها عود ، حتى أعلنت ليبيا استقلالها منذ سنوات ، وكذلك ظهرت في بلاد العرب ، وكانت تهدف الى رد الاستعمار عن الوطن العربي .

ثم قامت في مصر حركة قومية عام ١٩١٩ هزت اركان الوطن ، وامتدت شرارتها الى كافة البلاد ، وهب المصريون قوة واحدة وقاموا قومة رجل واحد في وجه الاحتلال ، وامتد اثر الثورة الى البلاد العربية جميعا فاشتعل اوارها ضد الاستعمار ، واعوان الاستعمار .

واخذت الثورة تتبلور حتى حملت طابعها الجديد في ثورة ٢٣ يوليو كما قامت في سوريا في عهد الانتداب الفرنسي حركات ثورية كثيرة ، وكذلك قام لبنان بوثة كبرى ضد الفرنسيين وخضعت

سوريا ولبنان للاحتلال أثناء الحرب العالمية الأخيرة ثم اتاح لها
القدر ان تنتصر وان تعلن استقلالها بفضل جهاد ابنائها الأبطال

وتمت بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ الوحدة التي املتتها ارادة
الشعب في كل من البلدين والتي كانت استمرارا للتعاون المتصل
بين البلدين ، وللانتصارات المشتركة للقوات المصرية والسورية
التي تمت ضد قوات المغول بقيادة هولاكو عام ١٢٦٠ م وضد
الصليبيين في ميناء عكا عام ١٢٩١ م .

وبتكوين الجمهورية العربية المتحدة ولدت دولة كبرى في المنطقة
تضم نحو ٣٠ مليون مواطن ، وبذلك ظهر بطلان دعوى الغرب في
وجود الفراغ ، وهي تلك الدعوى التي اتخذها ذريعة للتدخل ،
وتولد ايمان عميق لدى الشعوب بأنها قادرة على الدفاع عن نفسها
ضد أى اعتداء ، وان تنتهج في نفس الوقت سياسة الحياد الإيجابي
وعدم الانحياز .

وهي دولة كبرى في الشرق الأوسط ليست دخيلة فيه
ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ولا مستعدية ، دولة تحمي ولا تهدد
وتصون ولا تبدد ، تقوى ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تسالم
ولا تفرط ، تشد أزر الصديق وترد كيد العدو ، لا تتحزب
ولا تتعصب ، لا تنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العزم وتدعم السلام ،
توفر الرخاء لها ولن حولها وللبشر جميعا .

بيد ان الانفصاليين عملوا على تفتيت كيان الوحدة وفي غفلة
من الزمن نجحت الحركة الانفصالية ، غير ان ارادة الشعب العربي
فوق كل ارادة وان رغبة الشعوب في انجاز الوحدة امر محتموم
ولا مرية فيه مهما طال الزمن واختلفت الأوضاع .

وقد روعت اسرائيل من ذلك التطور السياسي الرهيب الذي

هم البلاد العربية جميعا فأعلن استقلال السودان ، كما أعلن استقلال المغرب والجزائر وتونس ، وتقوض النظام الملكي في اليمن بعد أن فاحت أوبأؤه وأذرانه في شتى أنحاء العالم العربي ، وكذلك انتهى عهد الملكية في العراق وأعلن النظام الجمهوري ، وسقطت قاسم العراق بعد أن انتفض الشعب العراقي انتفاضة الكبرى ، وقضى على هؤلاء القادة الذين حاولوا أن يحيلوا مكاسب الثورة في العراق إلى مكاسب شخصية ومنافع خاصة ذاتية .

وهكذا انتفض المارد العربي وأخذ يحتل مكانه اللائق به تحت الشمس في القرن العشرين ، وحطم قيود الاستعمار بعدما امتحن بتاريخ سياسي وحضاري واجتماعي واحد ، وصقل بتجارب متشابهة .

ورغم أن الاسلام كان دين الغالبية من أبناء الوطن العربي فإنه لم يكن وسيلة للاستعلاء أو الاستبداد بالأديان الأخرى ، إنما نادى بالتسامح والاخاء مع الأديان الأخرى ، وكانت البلاد العربية في الحقيقة منبعاً للأديان السماوية كلها ، ويستوى في إطار القومية العربية أي دين من الأديان .

وقد استغل الاستعمار الاختلاف الديني بين أبناء الوطن العربي ليشير التفرقة والقطيعة ، ويفت في عضد الأمة العربية ، وفكر الإنجليز عند احتلالهم مصر في القرن التاسع عشر أن يؤسسوا دولة قطبية في الصعيد ، كما ثارت جفوة بين المسلمين والأقباط ، وأخذ الفريقان يتراشقان التهم ، وعقدت المؤتمرات من أجل ذلك ، بيد أن هذه الخلافات كلها ذابت في سبيل الوحدة والمحبة ، كما تحطمت كل هذه المنازعات على صخرة العربية الشامية .

وعندما تولى أمر الامة العربية خليفة ديني عثمانى باع الامة العربية للاستعمار ، ولذلك رفض العالم الاسلامى فكرة الجامعة الاسلامية التى نادى بها السلطان عبد الحميد ، واتضم الغرب الى جمعية الاتحاد والترقى التى قضت على السلطان عبد الحميد وعلى فكرته فى الجامعة الاسلامية فى عام ١٩٠٨ ، ١٩٠٩

ولكن رفض العرب لفكرة ارتباط السلطة الدينية بالسلطة الزمنية ليس معناه عدم الاحتفال بالدين فقد كان الدين ولا يزال شيئاً مقدساً لدى العرب بل ان التسامح وحرية العقيدة من شعائر الاسلام ، ومن اخلاق السلف الصالح اذ اخفى البطريرك بنيامين عشرين عاما بأحد الاديرة هربا من الرومان وظلمهم واضطهادهم فلما جاء العرب ردوا له اعتباره ، ونصبوه مرة اخرى فى منصبه وفى كنيسة بيت المقدس رفض عمر بن الخطاب ان يحول الكنيسة الى مسجد مخافة ان يظن المسيحيون انه لم يحترم شعائرهم الدينية ومعابدهم المقدسة ، كما استخدم صلاح الدين وكان حربا مؤانا على الاستعمار الذى شنّه الصليبيون كاثبا مسيحيا له هو ابن مماتي الذى دون ذكرياته معه ، فى كتاب حفظه لنا التاريخ .

وفى العصر الحديث كانت الخلافات كلها تدوب ، وتبقى مسلحة العربوة فوق كل شيء .

ورغم ان الدين والجنس — رغم توحيدهما فى الوطن العربى — لم يكونا من مقومات القومية العربية فان طبيعة الوطن العربى املت عليه الترابط والوحدة ، ان عاجلا او آجلا ، فالهضبة الجيولوجية القديمة التى شملت معظم الوطن العربى تأثرت بالعوامل الظاهرية والباطنية فتكونت منها هضبات متوسطة الارتفاع تتخللها وديان وسهول واحواض داخلية ، وينشابه المناخ تشابها كبيرا بين شطرى الوطن العربى الاسيوى والافريقى ، اما الحرارة فتكاد تكون متشابهة

في الشتاء وتبلغ درجة الحرارة في شهر يناير ١١ م في مدينة الرباط
و ١١ر٥ في الجزائر ، و ١٠ في تونس ، ١١ر٥ في الاسكندرية
اما في الصيف فترداد الحرارة وتبلغ في شهر يوليو ٢٨ في المغرب ،
و ٢٥ في الجزائر ، و ٢٦ر٥ في تونس ، و ٢٦ في الاسكندرية .

والنبات في الوديان واحواض الانهار في الوطن العربي يكاد
يكون متشابها وكذلك الحال بالقياس الى النبات في الصحراوات ،
ويشتهر العالم العربي بالقمح والبرقال والورد والرياحين وازهار
الربيع .

وهكذا كانت وحدة الجغرافيا الطبيعية للوطن العربي وحدة
حقيقية وهي وحدة التصاق واشتراك وتشابه وتدرج ، وكل هذه
العوامل تدعم قواعد القومية العربية وتكون شسوة في جنب
اعداء العروبة .

وينشأ عن هذا كله مجتمع عربي يشترك في تراث اجتماعي يتكون
من الثقافة والحضارة ، ونقصد بالثقافة جميع العناصر الروحية
أو العناصر غير المادية من دين وعقائد ونظم اجتماعية في الاسرة
والثقاليذ ، والمعادن والمثل والأخلاق كما نقصد بالحضارة مظاهر
ال عمران المدني والتقدم في ميادين الحكم والسياسة .

وقد ساهم العرب جميعا في بناء المساجد في البصرة والكوفة
وبغداد ودمشق والقاهرة وتونس والقيروان ، وامتلات كل مدينة
برجال العلم والثقافة ، واصحاب الحرف والفنون ، بل لقد كان
العرب يشتركون في سرائهم وضرائهم وحروبهم ومعاركهم ، وليس
ادل على ذلك من تناصر العرب جميعا اثناء الحروب الصليبية ضد
الغرب ، وتكاتفهم وتأزروهم ضد المغول ، بل ان العلامة ابن خلدون
اخرج من المغرب ليشترك في مفاوضة تيمورلنك عندما غزت جيوشه
الشام ، واستولت على البلاد ، فقد ابدى ابن خلدون ، في مفاوضاته

مع تيمورلنك شعورا صادقا لا يختلف في قليل أو كثير عن شعور
المواطن العربي في العالم العربي كله ، فالقومية العربية كانت تربط
العرب في المغرب والمشرق برابطة قوية لا انفصام لها .

ونحن في الوطن العربي اذا ما سرنا شرقا حتى ايران ، او غربا
حتى اسبانيا لا يشعر السائر انه غريب في اى مجتمع يسير فيه او
يتوغل في دراسته اذ أن الاطار العام للحياة الاجتماعية مشترك
لا يتغير . وهذا الاطار الموحد الذى ينتمى الى مجتمع عربى عام هو
ما نطلق عليه القومية العربية وقد عاشت المدينة ومكة ودمشق
والبصرة والكوفة ، وبغداد ، والقاهرة طيلة التاريخ العربى تحمل
مشاعل الحضارة بالتناوب ويلتقى عندها كل عربى ، ويهرع الى
ساحتها كل عربى ينضوى تحت لواء العروبة الخفاق .

وجمعت وحدة الحس والشعور ، ووحدة المثل والأهداف
العرب جميعا لمقاومة العدو المشترك وبذل كل مرتخص وغال في
سبيل الانتصار ولم يعد أحد يقول لعربى في الشام او العراق أنت
بابلئ او سريانى او أعجمى انما ذابت كل هذه الأسماء في خضم
القومية العربية الجارف .

وقد أصبح واضحا للعيان أن القاهرة هى حاملة لواء القومية
العربية وأن هذه القيادة أصبحت شوكة في جنب اسرائيل تقض
مضجها وتقلق راحتها ، وقد أشار السيد الرئيس جمال
عبد الناصر في كتابه « فلسفة الثورة » الى هذه الحقيقة فقال
« لم يعد مفرا امام كل بلد من أن يدير البصر حوله خارج حدود
بلاده ، ليعلم من أين تجيئه التيارات التى تؤثر فيه ، وكيف يمكن أن
يميش مع غيره ، أن واجب كل دولة أن تدير بصرها حولها لتبحث
عن وضعها وظروفها ، وما هو مجالها الجوى وميدان نشاطها ،
ودورها الإيجابى في هذا العالم المضطرب ، وانى لاستعرض ظروفنا

فأخرج بمجموعة من الدوائر لا مفر من أن يدور عليها نشاطنا ، وما من شك في أن الدائرة العربية هي أهم الدوائر وأرقها لنا ، وقد امتزجت معنا بالتاريخ ، وعانينا معها نفس المصن ، وعشنا نفس الأزمات ، وحين وقعنا تحت سنابك الفزاة كان كل العرب تحت نفس السنابك » .

وفي كل ثورة تحريرية قام بها الشعب العربي ضد الاستعمار وإزالة الحكم الفاسد كانت القومية العربية وقود هذه الثورات ، وكان الوطن العربي كالجسد الواحد إذا أصيب عضو من أعضائه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ولقد وقف الرئيس جمال عبد الناصر وقفات مشهودة حيال كل ثورة على الرجعية والاستعمار فقال في ثورة العراق « اننا نعتبر هذه الثورة تمثل أمانينا ومشاعرنا بل تمثل أمانى القومية العربية في الوطن العربي كله ، ففي هذه الثورة شعر كل مواطن وكل عربي بعزته الحقيقية وكرامته الحقيقية » .

وقال في ثورة لبنان « لقد انتصر شعب لبنان في ثورته وحقق لنفسه أكبر شيء حقق العزة والكرامة وتخلص من مناطق النفوذ ، ولم يعد لبنان قاعدة للاستعمار أو مكانا يتآمر فيه المستعمرون ضد اخوانهم العرب أو ضد الوطنيين في لبنان » .

وقال في الثورة السودانية « لقد قامت هذه الثورة من أجل مصلحة السودان والمحافظة على سيادته وحريته وبقائه خارج مناطق النفوذ الأجنبي » .

وقد انتصرت القومية العربية في ميادين الكفاح ، انتصرت في الجزائر وكتب الجزائريون استقلالهم بالمسداد يوم الاستفتاء بعدا

ما كتبه بالحديد والنار ، وانتصرت القومية العربية في الجنوب
العربي ضد قوى الاستعمار ، وانشئت جمهورية اليمن الجنوبية
بعد كفاح طويل .

وتجلى التضامن العربي بأروع مظاهره اثناء العدوان الثلاثي
الفاشسم على بور سعيد ، واهتزت الدوائر العربية لهذه الظامة
الكبرى وارتجت المحافل الدولية لهذا العدوان السافر .

ان تيار القومية العربية كسيل العرم قوى جارف ولن تستطيع
قوة في الأرض أن تحول دون امتداده او تعمل على إيقافه لأنه
حقيقة واقعة لا سبيل الى تجاهلها او تغافلها أو نسيانها ، ومهما
حاول المستعمرون أن يفرقوا هذا المبدأ فانه لن يفوص الى الأعماق
لأنه قطعة الفلين التي تسيح في الماء ولا تفوص الى الأغوار .

ولقد حاول الاستعمار أن يربط العالم العربي برباط الاحلاف
المستكرية غير انه باء بالفشل والخسران المبين بعد أن اعتمد على
بعض أعموانه في الشرق العربي وفشل مشروع ايزنهاور الذي زعموا
أنه ملء الفراغ في الشرق الأوسط كما سقط حلف بغداد والحلف
الاسلامي ، كما فشل الاستعمار في عرقلة مشروع السد العالي
وأعلنها السيد الرئيس جمال عبد الناصر صيحة كبرى لتأميم القناة
في يوليو عام ١٩٥٦ ولم يستطع العدوان الثلاثي الفاشسم أن يحقق
غرضه ازاء وقفة الشعب العربي الباسل .

لا شك أن مارد القومية العربية كان شعبا رهيبا يهدد
اسرائيل طيلة السنوات الماضية اذ اعتقدت انه لا بد أن يجهز عليها
في القريب فأخذت تتجهن الفرص من أجل تحطيم قوى هذا المارد
الجيبار ، والقضاء على وحدة الأمة العربية بكل طريقة مستطاعة .
وقد استعانت اسرائيل بالدول القريبة والولايات المتحدة الامريكية

ابتغاء تحقيق هذا المخطط الأثم للقضاء على القومية العربية في
عقر دارها .

ولكن خاب مسعى اسرائيل في هذا السبيل ، فانها لم تستطع
أن تحقق قلامة ظفر من أمانيتها وأحلامها ، بل خرج الشعب العربي
بعد نكسة ١٩٦٧ أشد قوة وتماسكا وأكثر وفاقا وتجانسا ، وكان
مؤتمر القمة في الخرطوم في العام نفسه ضربة مصوبة الى قلب
اسرائيل ، ودفعة قوية للقومية العربية للانتفاض والوقوف ،
والثبات والصمود ، فقد اكد المؤتمر وحدة الصف العربي ووحدة
العمل الجماعي وتصفيته من جميع الشوائب كما اكد رؤساء وماءوك
العرب التزام بلادهم بميثاق التضامن العربي الذي اصدره مؤتمر
القمة العربي الثالث الذي عقد بالدار البيضاء ، كما قرر المؤتمر
ضرورة تضافر جميع الجهود لازالة آثار العدوان على اساس أن
الأراضي المحتلة أرض عربية يقع عبء استردادها على الدول العربية
جميعاء ، كما قرر المؤتمر توحيد الجهود في العمل السياسي على
الصعيد الدولي والدبلوماسي لازالة آثار العدوان وتأمين انسحاب
القوات الاسرائيلية من الأراضي العربية التي احتلتها بعد الخامس
من يونيو وذلك في نطاق المبادئ الأساسية التي تلتزم بها الدول
العربية وهي عدم الصلح مع اسرائيل وعدم الاعتراف بها وعدم
التفاوض معها ، والتمسك بحق الشعب الفلسطيني في وطنه .

ورأى المؤتمر بعد الدراسة أن ضخ البترول يمكن استخدامه
كسلاح ايجابي باعتبار البترول طاقة عربية يمكن أن توجه لدعم
اقتصاد الدول العربية التي تأثرت مباشرة بالعدوان ولتمكينها من
الصمود في المعركة وتحقيقا لذلك قررت المملكة العربية السعودية
والكويت وليبيا وهي الدول المنتجة للبترول الالتزام بدفع مبالغ
معينة من المال بالعملات الأجنبية الى مصر والأردن كما قرر

المجتمعون سرعة تصفية القواعد الأجنبية في الدول العربية %
وضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لدعم الاعداد العسكري لمواجهة
كافة احتمالات الموقف .

وهكذا انتصرت القومية العربية رغم النكسة عام ١٩٦٧ ، ولم
تستطع اسرائيل تحقيق الهدف من عدوانها وأصبحت القومية
العربية حقيقة عملية واضحة لا تقبل الشك ولا يرقى اليها
الجدل .

الفصل الخامس

تحطيم الجبهة الداخلية

هناك مآرب أخرى لعدوان اسرائيل في يونيو عام ١٩٦٧ لا تَحَقِّقُ على عين الباحث في طبيعة اسرائيل وسياستها منذ انشائها عام ١٩٤٨ ، ومن هذه المآرب القضاء على التطور الهائل في الصناعة العربية وعلى الأسواق التجارية في الدول الافريقية لتوزيع منتجات هذه الصناعات فقد غدت الصناعة العربية ماردا جبارا يخيف الاقتصاد الاسرائيلي ويصيبه بالشلل التام ، وبينما نعتبر الزراعة في الوطن العربي هي القطاع الأول الذي يبنى عليه هيكل الانتاج الكلي ، فان الصناعة تعتبر هي المنفذ الاساسي للتقدم الاقتصادي والنمو المستمر وذلك بان طبيعة الانتاج الزراعي يتميز بأنه يتم في دورة واحدة تبدأ بالبلد وتنتهي بالحصاد ، بينما نجد الانتاج الصناعي يتكون من عدة دورات يتركب كل منها على الآخر ، ويخدم

بعضها بعضا بشكل يتيح نموا سريعا لا في النشاط الاجتماعى ذاته
فحسب بل وفي أنواع المنتجات وتعددتها وتقاربها مع اذواق
المستهلكين واحتياجاتهم الزائدة .

لذلك كان التقدم الصناعى الحجر الأساسى فى كل خطة للتنمية
فى الوطن العربى وقامت الدولة بتعبئة جميع الموارد الطبيعية
والبشرية وتوجيهها وعملت على زيادة حجم الانتاج وتوزيعه ليشمى
مع الزيادة فى عدد السكان ، وأدخلت الدولة الصناعات الثقيلة
وزادت من الطاقة الانتاجية للصناعات القائمة ورفع كفاءتها الانتاجية
وظهرت فى بلادنا الصناعات الثقيلة كصناعة الحديد والصلب
ومحركات الديزل وعربات السكة الحديد والسيارات اللورى
وسيارات الركوب والأتوبيس والمترو ، كما ظهرت فى حياتنا
الصناعات الخفيفة مثل صناعة الدرجات وسخانات البوتاجاز
والافران والثلاجات الكهربائية ، والكابلات وادوات الكهربائى
والخزف والصينى .

وتطورت الصناعات فى عهد الثورة تطورا عظيما بعد ما كانت
تقوم على الارتجال وتسيطر عليها الاحتكارات كما لم تتجه الاتجاهات
السليمة التى تعمل على نموها وازدهارها ، أو تأبه للمقاييس
الاقتصادية الأساسية كتنفقة الحصول على المواد الخام كما لم تكن
تدخل عليها وسائل الانتاج التى تحقق وفرا كبيرا وكفاية أعلى ،
وكان مرجع هذا كله الى قصور فى العقلية الصناعية وتقصير فى
استخدام الوسائل الفنية الصحيحة والتدريب المهنى .

وقد أدركت الصناعة فى السنوات الاخيرة طفرة جبارة وبعد أن
كنا نعجز عن صناعة الابرة أصبحنا نصنع الابرة والصاروخ . والى
دور الصناعات أشار الرئيس جمال عبد الناصر فى الميثاق فقال :
ان الصناعة هى الدعائم القوية للكيان الوطنى وهى القادرة على
الوفاء بأعظم الآمال فى التطوير الاقتصادى والاجتماعى »

الصناعة هي الطاقة الخلاقة التي تستطيع ان تتجاوب مع التخطيط الواعي المدروس ، وتفي ببرامجه دون ما عوائق غير منظورة تصعب السيطرة عليها ، ومن ثم فهي القادرة في أسرع وقت على توسيع قاعدة الانتاج توسيعا ثوريا حاسما .

ولا شك ان الطفرة في ميادين الصناعة والانتاج ، وميادين التصدير والتوزيع كانت سببا من أسباب قلق اسرائيل ، وقد حاولت اسرائيل تحطيم الاقتصاد المصري بحرب يونيو غير ان الرئيس عبد الناصر نادى بضرورة توجيه اقتصادنا ليكون اقتصاد حرب وليتحمل معركة طويلة ضد اعدائنا لانه سيستخدم ضدنا كل الاسلحة بجانب اسلحة الضغط الاقتصادي .

واذا كانت معركة الانتاج قد واجهت بعض العقبات في سبيلها ومن ذلك تعذر تصدير بعض السلع الى بعض الاسواق ، وصعوبة استيراد بعض المواد الأولية اللازمة لبعض الصناعات ، واستمرار غلق قناة السويس لمدة قد تطول فان الشعب العربي استطاع الصمود امام كل هذه الاحداث واستطاعت الصناعة العربية ان تستغل الموارد المحلية احسن استغلال وتعوض النقص الذي تحس به في مجال الصناعة ، كما استطاعت الدولة ان تحقق التوازن الاقتصادي وقامت ببعض الاجراءات الضرورية لمواجهة الاحداث ، وفرضت ضريبة الامن القومي من اجل هذه الأغراض دون ان تمس أصحاب الدخول الصغيرة .

وقد رحب الجميع بهذه الاجراءات الاستثنائية من اجل تحقيق النصر ومواجهة الخطوب والاحداث ، وتكوين احتياطي غير عادي

من المواد التموينية والمواد الاستراتيجية ومستلزمات زيادة
الانتاج .

وقد تعاون الجميع على تحطيم هدف اسرائيل من تدهور
الاقتصاد المصرى والقاء الشعب فى مجاعة كبرى لان الشعب يعتقد
ان حرية القوات لن تنجح من غير تحقيق الحرية السياسية وتحرير
اراضيه من اقدام المعتدى الالىم .

الفصل السادس

الآمال التوسعية

لقد كان انشاء اسرائيل ركيزة للاستعمار في الشرق الاوسط %
ووسيلة لتحقيق اهدافه وتنفيذ خطته وآية ذلك ما ورد في وثائق
وزارة الخارجية البريطانية عن الخمسين سنة الاخيرة فقد جاء في
هذه الوثائق ان هناك عدة مؤتمرات عقدت في عواصم الدول
الاستعمارية التي لها مصالح استعمارية في العالم وهي انجلترا
وفرنسا وايطاليا والبرتغال ، وقد تقرر في هذه المؤتمرات ان هناك
قوى بشرية هائلة في منطقة آسيا وافريقيا وان هناك عوامل كثيرة
تربط بين هذه القوى البشرية الهائلة منها اللغة والعادات والتقاليد %
والنزعة القومية وانه لابد من خلق « حاجز بشري » بين تلك الشعوب
حتى لا تتكاتف ولا تتماطف ولا تكون شوكة في جنب الاستعمار ، تقلق
مضاجعه ، ولذلك فكر المتآمرون في تحقيق امل اليهود في خلق وطن
قومي لهم في فلسطين .

ولذلك لم يكن غريباً أن يصدر في مايو عام ١٩٤٣ بيان امريكي يعلن موافقة امريكا على قيام دولة يهودية في فلسطين ورفضها للكتاب الابيض الذي صدر في عام ١٩٣٩ وتصميمها على اطلاق الهجرة اليهودية بدون حدود وعلى انشاء جيش يهودي ويعرف هذا القرار بقرار بلتيمور كما بعث ترومان في ٣١ اغسطس ١٩٤٥ برسالة الى مستر اتلي يؤيد فيها فتح ابواب فلسطين لليهود النازحين من المانيا والسماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودي .

وفي ١٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ شكلت لجنة بريطانية امريكية لحل قضية فلسطين وقد دلت القرارات التي تمخضت عن هذه اللجنة على روح العدوان للعرب اذ قررت هجرة ١٠٠ ألف يهودي في الحال ، كما عقد في لندن في ١٠ سبتمبر عام ١٩٤٦ مؤتمر استمر حوالى ثلاثة اسابيع وقدمت فيه بريطانيا مشروع موريسون الذي يرى انشاء دولة فيدرالية من العرب واليهود تحت اشراف بريطانيا غير ان المندوبين العرب رفضوا هذا المشروع وتقدموا بمشروع يقضى بقيام دولة مستقلة وتكوين حكومة انتقالية برئاسة المندوب السامي تتألف من سبعة من العرب وثلاثة من اليهود ، ووقف الهجرة واحترام الاماكن المقدسة وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا الا ان بريطانيا رفضت المشروع العربي واصرت على قبول مشروع موريسون ثم عادت وقدمت مشروع بيغن الذي يرى وضع فلسطين تحت وصاية بريطانيا لمدة خمس سنوات تقسم خلالها الى اقسام ادارية تتمتع بالحكم الذاتي ورفض العرب هذا المشروع .

ومن هنا يتضح لنا ان نيات الاستعمار كانت تهدف منذ البداية

الى تكوين منطقة نفوذ في الشرق الأوسط عن طريق اسرائيل صيانة لمصالحه ورعاية لمطامعه في الشرق الأوسط .

زد على ذلك ان مشكلة المياه في اسرائيل تشكل خطرا داهما يهددها مما يجعلها تتوسع من اجل سد احتياجاتها ، فضلا عن ان مسألة المياه لها صلة مباشرة للهجرة اليهودية .

وقد قام أحد العلماء واسمه جرانوسكى Granowsky بتأليف كتاب يسمى Land Policy and Palestine (سياسة الأرض في فلسطين) درس فيه مشكلة المياه في فلسطين جاء فيه ان حجم المياه يبلغ نحو ٤٨٥٣٠ مترا مكعبا في الساعة وهناك ينابيع المياه وعددها ٢٥ في فلسطين ، ويخرج منها ماء يقدر بحوالى ٣٣٩٨٠ مترا مكعبا في الساعة ، الى جانب ينابيع المياه المالحة وهى تنتج حوالى ١٨٣٦٠ مترا مكعبا في الساعة ، وهذه المياه ذات حجم ضئيل بالنسبة لمساحة فلسطين التى تبلغ ١٣٧٤٢ كم ٢ . بدون بئر سبع التى تبلغ مساحتها ١٢٥٧٧ كم ٢ وهى أرض فقيرة فى المياه ، ولقد كان استغلال مصادر المياه التى فى جوف الأرض قليلا وذلك يرجع للتكاليف الباهظة التى يتكلفها استخراج المياه ، ونتيجة لزيادة عدد السكان والمطالب المتزايدة التى تحتاج إليها المزارع .

ونتيجة لذلك فان أهمية المياه فى اقتصاد اسرائيل امر حيوى ومشكلة رئيسية حتى تسائر حاجات المزارعين وبرامج الاستيطان .

وقد تعرض الكاتب نورمان بنتويس Norman Bentwich لمسألة الزراعة وصلتها بالهجرة اليهودية الى فلسطين فقال اننا

نستطيع ان ندرك الصلة بين الهجرة وتوافر المياه ، وهى صلة غير مباشرة اذ توجد المياه فى الطاقة الزراعية . وهذه الطاقة الزراعية تحدد مقدار الهجرة التى يمكن استيعابها وهكذا نستطيع ان نقول ان كمية المياه المتوافرة تتناسب طرديا مع عدد اليهود الذين يمكن استيعابهم .

وقد اشار بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل عام ١٩٦١ الى تلك الحقيقة حين قال يومذاك فى احدى خطبه :

واذا لم تضع اسرائيل حدا لحياة الصحراء فى النقب فان حياة الصحراء فى النقب ستضع حدا لحياة اسرائيل ؟

فلا غرو اذن ان تسمى اسرائيل لتحقيق هذه الاهداف وتطمع فى الوصول الى النيل والفرات ولكن هذه المطامع احلام كاذبة لا تلبث ان يدركها نور الصباح فيأتى عليها ويجعلها بددا ١٩

ادركت اسرائيل كذلك ان القاهرة هى مناط آمال الامة العربية جمعاء ، وانها بالقضاء على الثورة العربية فى القاهرة تستطيع ان تكبت انفاس دعوات الحرية فى كل مكان من الوطن العربى الكبير بمعاونة الاستعمار الغربى ومساندة الولايات المتحدة الامريكية كما ادركت ان القوة العسكرية العربية المتمثلة فى جيش الجمهورية العربية المتحدة خطر جسيم يهدد كيان اسرائيل وان استخدام كل وسيلة لتحطيم هذا الجيش ولو على سبيل الخديعة والخيانة من شأنه ان يقضى على كل امل فى الحرب مع اسرائيل ، ولقد اظهر الجيش العربى من ضروب البسالة فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨

ما سجله التاريخ بحروف من نور وكانت معركة القالوجة من اشهر المعارك الحربية في فلسطين التي جعلت المراسلين العسكريين يقفون مذهولين ازاء البسالة العربية وشهامة الجنود العرب كما كانت معارك يونيو ومنها معركة رفح من اروع المعارك الحربية . وسجلت ارض المعركة بطولات عظيمة حتى آخر قطرة من دماء شهدائنا الأحرار .

ولولا تحطيم السلاح الجوي العربى في قواعده قبل ان تبدأ المعركة على النحو الذى سنفضله في الصفحات القادمة لكان للمعركة شأن آخر فانه بالقضاء على السلاح الجوي الذى يحمى المشاة أصبح من العسير على الجيوش البرية ان تقاتل تحت وابل من قنابل الأعداء التى تقصف المشاة من السماء . وبالرغم من كل هذا فان الجيش العربى ظل يدافع عن الوطن ببسالة منقطعة النظير واضطر الى الانسحاب الى مواقع دفاعية جديدة من أجل الدود عن قناة السويس وقد حاولت اسرائيل في عدوانها ان تضع العرب امام الامر الواقع وتفرض عليهم صلحا معها بقوة السلاح غير أن الشعب العربى ظل متمسكا بسياسته الاولى وقرر مؤتمر القمة في الخرطوم في ٢٩ اغسطس عام ١٩٦٧ عدم الصلح مع اسرائيل والوقوف في وجه العدوان الاسرائيلى صفا واحدا والقضاء على الآمال الاسرائيلية في التوسع على حساب الامة العربية وضرورة الانسحاب الى المواقع الاولى قبل حرب ٥ يونيو .

وقد كانت اسرائيل تحلم بتحقيق آمالها التوسعية منذ انشائها عام ١٩٤٨ وفى ديسمبر عام ١٩٤٨ وجه بن جوريون الى الشعب اليهودى في اسرائيل نداء جاء فيه « على الشعب ان يجمع قواه لانجاز هذه الاهداف ، والاعداد للوصول الى الهدف النهائى الا وهو

بناء الدولة اليهودية التي تجمع كل يهود العالم ، وبذلك تتحقق نبوءة التوراة » .

وفي عام ١٩٥١ عاد بن جوريون ليواصل سلسلة تصريحاته الهوجاء ليقول : اننى لا اقتنع بقطعة الأرض التي احتلتها اسرائيل من أرض فلسطين كما ذكر في كتابه « اعادة انشاء اسرائيل ومصرها » قوله « الآن فقط وصلنا الى بداية الاستقلال في نقطة من أرض بلادنا الصغيرة » .

ومن اقوال بن جوريون المشهورة « لا معنى لفلسطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل » .

كما صرح لطلاب الجامعة العبرية والمعاهد القومية بقوله « ان هذه الخريطة يعنى خريطة فلسطين ليست دولتنا ، بل لنا خريطة أخرى عليكم انتم مسئولية تصميمها ، خريطة الوطن الاسرائيلى الممتد من النيل الى الفرات فليفهم الجميع بأن اسرائيل قامت بالحرب ، وانها لن تفتنح بحدودها حتى الآن ، ان الامبراطورية الاسرائيلية سوف تمتد من النيل الى الفرات » .

وصرح فلاديمير جايوتنسكى رئيس الحزب الاصلاحى فى اسرائيل فى مؤتمر المحاربين القدماء فى ٢٨ اكتوبر عام ١٩٥٥ بقوله « سنطرد العرب فى فلسطين وشرق الاردن ، وسنقذف بهم الى صحاريهم ، وسنقيم الدولة اليهودية على ضفتى الأردن اولا ، ثم نمتد بها الى ما وراء حدود فلسطين » .

وقال الزعيم الصهيونى المعروف « نورمان بنتويز » « ليس من المعقول أن تبقى فلسطين محدودة بحدودها الحالية ففى استطاعة اليهود الانتشار والتوسع الى جميع البلاد المحيطة بها فى البحر

الأبيض المتوسط الى الفرات ومن لبنان الى النيل ، فهذه هي البلاد التي اعطيت لشعب الله المختار .

وعقب عدوان ٥ يونيو وحرب الايام الستة وصفت اذاعة اسرائيل رئيس اسرائيل « زلمان شازار » بأنه اول رئيس للقدس باكملها كما اطلقت الاذاعة على الضفة الغربية اسم اسرائيل الغربية .

واذاع موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي بيانا ذكر فيه ان قواه ينبغي ان تظل في سيناء ، وان القدس ينبغي ان تظل عاصمة اسرائيل وتحت سيطرتها ، وان اسرائيل يجب الا تتنازل عن قطاع غزة والضفة الاردنية من الأردن .

وصرح ليفي اشكول رئيس الوزراء الاسرائيلي في الكنيست يوم ١٢ يونيو عام ١٩٦٧ بأن اسرائيل التي تحتل اراضى استراتيجية جديدة لن تعود ابدا الى الحدود السابقة . وصرح ليفي من الوزراء الاسرائيليين بأن اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ بين اسرائيل والدول العربية فقدت قيمتها وان اسرائيل لن تقبل في المستقبل اى حل مؤقت .

وهكذا ظهرت نيات الصهاينة ومخططاتهم التوسعية واضحة جليلة امام العيان غير ان الشعب العربى لم يحفل لكل هذه المؤامرات وقد عارض العالم الاسلامى والمسيحى تدويل القدس ، وعارض البابا كيرلس الفكرة وقال : ان ذلك وضع شاذ لا مثيل له في المجال الدولي ويتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة ، ومقاصده التي تستنكر كل محاولة تستهدف التقويض الجزئى أو الكلى للوحدة القومية ، كما طالب البابا عقد جلسة طارئة وماجلة للجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمى باتخاذ موقف حاسم ضد الاجراء الخطير الذي اتخذته مجلس وزراء اسرائيل بضم القدس العربية الى فلسطين المحتلة .

ووجه فضيلة شيخ الازهر بيانا مشتركا مع البابا كيرلس موجهها الى اصحاب الضمائر الحرة في انحاء العالم والى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اعلنا فيه دعوتهما للامة العربية الا تتهاون أو تتقاعس عن الجهاد دون الحق والوقوف دون كل معتد أثيم .
وقد خاب مسعى اسرائيل في هذا الصدد ، ويقف العالم كله الآن بالمرصاد ازاء كل محاولة تقوم بها اسرائيل من اجل تدويل القدس واستخدام العنف والارهاب .

وقد قامت اسرائيل بخطوات خطيرة من اجل القضاء على مروبة القدس ومن ذلك أن الكنيسة أصدر قرارا بتوحيد القدس واخضاع المدينة لإدارة محلية موحدة كما اذاع بنك اسرائيل بيانا اعلان فيه أن الليرة الاسرائيلية هي العملة الوحيدة التي يصرح بتداولها في الجزء الأردني من القدس .

وبعد صدور قرار الكنيسة بضم القدس عقد ليفي أشكول مؤتمرا صحفيا في القطاع الأردني من المدينة وعلن في غير خجل أو حياء ، أن العسكريين الاسرائيليين ليس في نيتهم التخلي عن الاراضي العربية المحتلة .

وقد اشتعلت على اثر ذلك الثورات في شتى انحاء المدينة ، ورفض التجار دفع الضرائب الباهظة التي فرضها الاسرائيليون على التجار واصحاب الأعمال ، واغلاق التجار حوانيتهم ، وشلت حركة المواصلات ، ولم تجد وسائل العنف والارهاب ، والقتل والتعذيب في اقناع الشعب العربي في القدس وفي غيرها من المدن المحتلة بسياسة الأمر الواقع ، ولم يكد الاسرائيليون يقضون على فتنة في أحد احياء المدينة حتى تشب فتنة أخرى في منطقة مجاورة أو بعيدة . ولم تنفع سياسة الحديد والنار في اعمال العنف والارهاب .

وقد نقل الصحفيون الروس الثلاثة مؤلفو كتاب « اطلاق الحمامة » ذلك البيان الذي اذاعته « نانسى أبو حيدر » على الرأى

العام العالمى بالنيابة من القدس وشعبها وجاء فيه « ان العدو يذيق
المدينة المحتلة اقصى العذاب ، والعدو يفعل كل ما فى وسعه لتغيير
طابع المدينة والقضاء على روحها ، ويجرى تحقيق هذا الهدف
بأساليب متعددة اعتبر انا شاهدة عليها فبعد ثلاث ساعات من
انذار الاهالى بمغادرة دورهم تمهيدا للقيام بعملية « ادارية » سوت
البولدوزورات العسكرية بالأرض بيوت أكثر من ٢٥٠ عائلة فى الحى
الغربى لتقيم فى مكانها موقعا للسيارات السياحية القادمة من تل
أبيب وبنفس الطريقة هدم الحى الذى كان يسد الطريق الى حائط
المبكى الذى أصبح فى ايامنا هذه يرمز الى الألام الجديدة التى
يعانيها أهل القدس ، كذلك هدم الاسرائيليون معسكر اللاجئين
وعددا ضخما من المحال التجارية والبيوت ، وبذلك أصبح آلاف
العرب بلا مأوى ، ولم يعد امامهم سوى عبور نهر الأردن فى اتجاه
الضفة الشرقية » .

ورغم كل هذه الاجراءات الظالمة التى قامت بها اسرائيل فى
القدس فان العرب فى القدس يرفضون التعامل بالعملة الاسرائيلية ،
ويفضلون التعامل بالدينار العراقى كما يرفض التجار شراء السلع
من شركات الجملة الاسرائيلية كما رفض عدد كبير من القضاة
العرب استئناف عملهم فى المحاكم ورفض المحامون العرب الاعتراف
بضم القدس . وغمر البلاد طوفان من المنشورات الثورية التى
وجهتها منظمة دلائع العودة وغيرها من المنظمات الوطنية للامتناع
عن التعاون مع العدو بكل وسيلة مستطاعة .

وفى يوم ٢١ أغسطس عام ١٩٦٧ كان من المقرر ان يصل الى
القدس مستر أرنست تيلمان الممثل الشخصى للسكرتير العام للأمم
المتحدة فرأى ان يشاهد الحوانيت مغلقة والشوارع خالية وحركة
المرور متوقفة فقد وافق يوم وصوله يوم اعلان الاضراب العام فى
القدس على الوضع الشاذ الذى فرضته اسرائيل على العرب دون
وجه حق او سند مشروع .

الباب الثاني

في المعركة

الفصل الأول

الشرارة الأولى

تكشف الأنباء على أن إسرائيل كانت تنوى أن تشن حرباً هجومية على الجمهورية السورية في ١٧ مايو عام ١٩٦٧. ووضعت إسرائيل الخطة على هذا الأساس غير أنها ما لبثت أن كشفت وأصيبت بالفشل بعد أن تمت الحشود العسكرية الإسرائيلية الموجهة لقبد سوريا ، وأعلن كل من ليفى اشكول رئيس الوزراء والجنرال اسحق رابين رئيس أركان الحرب أنه من المحتم أن تحدث مواجهة خطيرة بين سوريا وإسرائيل إذا استمرت عمليات الفدائيين الفلسطينيين داخلها كما اتهم سوريا بأنها تقف وراء جميع أعمال التخريب داخل إسرائيل وأنه قد أنشئت وحدات خاصة من الجيش لمقاومة حرب العصابات ومواجهة تزايد هجمات الفدائيين العرب ضد الأراضي الإسرائيلية .

وعلى اثر توتر الموقف على خطوط الهدنة بين سوريا واسرائيل وعلى اثر الحشود العسكرية الضخمة والتهديدات العدوانية المتكررة والاصوات العالية المدوية في اسرائيل للزحف على دمشق اعلنت حالة الطوارئ في الجمهورية العربية المتحدة وعقدت العزم على ان تخوض المعركة ضد اسرائيل اذا تعرض الوطن السوري لعدوان يهدد اراضييه او سلامته ، كما اعلنت الجمهورية العربية المتحدة انها سوف تدخل المعركة لاتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا التي تلتزم بها الجمهورية العربية المتحدة التزاما كاملا وكذلك لموقف الجمهورية العربية المتحدة ازاء كل عدوان على دولة عربية .

وتتابعت الاحداث سريعا وتقدمت الجمهورية العربية المتحدة بطلب سحب قوات الطوارئ الدولية بعد اصدار التعاميم الى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد اسرائيل فور قيامها بعمل عدواني ضد اية دولة عربية ، وذلك بضمان من قوات الطوارئ الدولية المتمركزة في نطق المراقبة على حدودنا .

وتم في يوم ١٧ مايو عام ١٩٦٧ تنفيذ طلب الجمهورية العربية المتحدة بسحب جميع قوات الطوارئ الدولية من نطق المراقبة التي كانت تتمركز فيها على الحدود المصرية واصبحت القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة واقفة على خط الحدود المصرية الطويل الممتد من رفح الى خليج العقبة وهو الخط المواجه للأرض المحتلة في فلسطين بواسطة العدو الاسرائيلي .

وانتهت بذلك مهمة وجود قوات الطوارئ الدولية على كل الحدود وفي قطاع غزة .

كما ابلغ يوفانتا السكرتير العام للأمم المتحدة انسحاب قوات الطوارئ الدولية من غزة وانهاء وجودها على خطوط الهدنة المصرية الاسرائيلية وذكر انه وضع في اعتباره وهو يتخذ قراره سلطة

الجمهورية العربية المتحدة في سيادتها على أرضها ، واضاف ان
انهاء وجود قوة الطوارئ الدولية يعد حتما المواجهة المسلحة بين
مصر واسرائيل وطالب يوثبات الجانبين بممارسة اقصى الهدوء
وضبط النفس في هذا الموقف حتى لا يصبح محفوقا بالخطر .

وأوضح يوثبات انه اتخذ قراره على اساس الاعتبارات الاتية ؛
١. - ان القوة لا تستطيع ان تبقى في مكانها وان تؤدي مهمتها
دون موافقة الدولة المضيقة .

٢. - انه يتعين تجنب الكتابات التي تشكل قوة الطوارئ من
التعرض للخطر .

٣. - انه ازاء طلب بالانسحاب مقدم من حكومة الدولة المضيقة
ليس هناك اختيار الا التسليم به مع وضع سيادة حكومة
القاهرة على أرضها موضع الاعتبار .

وفي يوم ٢١ مايو عام ١٩٦٧ أعلن السيد الرئيس جمال عبد
الناصر أثناء زيارته لمركز القيادة للقوات الجوية اغلاق العقبة أمام
الملاحاة الاسرائيلية والمواد الاستراتيجية لا تستطيع المرور منه
الى اسرائيل ولو على سفن غير اسرائيلية كما أعلن ان السلام
الاسرائيلي ان يمر أمام قواتنا المرابطة في شرم الشيخ كما ان سيادتنا
على الخليج لا تنازع .

ولم يكن السيد الرئيس جمال عبد الناصر وهو يتحدث بهذا
الحديث يعبر الا عن الارادة العربية وعن رغبة الشعب العربي في
السيادة على اراضيهم وعدم التفريط في جزء من ارض الوطن او حفنة
من ترابه .

وحاولت الامم المتحدة ان تنقذ الموقف من التدهور كما حاول
اوثبات سنكر ترم عام الامم المتحدة ان يجذب الخطوط الممكنة السلام
في الشرق الاوسط ، فحضر الى القاهرة لمقابلة السيد الرئيس جمال

عبد الناصر . واعطى السيد الرئيس اوثانت وعدا بالا تبدا مصر اطلاق النار ، كما اعلن عن استعداده لحل القضايا الشائكة عن طريق التسوية السلمية ولكن المتطرفين الاسرائيليين كانوا يبيتون في نفوسهم امرا ، فقد حالوا دون تمكين اوثانت من ايجاد حل سلمى يمنع الصدام المسلح بين الطرفين وعارضوا بشدة اقتراح اوثانت بوضع قوات الامم المتحدة على جانبي الحدود في الاراضي الاسرائيلية المحتلة .

وكانت اسرائيل تناهب لهذا الصدام المسلح وتستعد له تمام الاستعداد كما كان رئيس الوزارة الاسرائيلية ووزير الخارجية يقومان بجهود كبيرة في هذا الصدد ، ففي الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ٢٤ مايو عام ١٩٦٧ هبطت طائرة تحمل في ذيلها شعار اسرائيل في مطار اورلى بباريس ، وكانت تحمل ابا ايان وزير الخارجية الاسرائيلية الذي حضر الى باريس دون ان يثير حوله ضوضاء او يلقى عليه الاضواء لمقابلة الرئيس ديغول ونزل في فندق هيلتون اورلى لانتظار المقابلة الموعودة ولكن الرئيس ديغول لم يستطع ان يعطى ابا ايان وعدا بمؤازرته في اى عدوان مسلح تقوم به اسرائيل بل اكتفى قائلا لآبا ايان في كلمات مقتضبة كان يرددها بين الحين والحين :

— لا تبدأوا باطلاق النار ! —

وقد رفضت فرنسا تسليم اسرائيل شاحنات جديدة من طائرات الميراج ووجهة نظرها في ذلك تقولها لآى سائل ولكل سائل : — ان العرب ابدوا وما زالوا يريدون كل استعداد للحل السياسى المعقول ، فلماذا تريد اسرائيل من السلاح فوق ما لديها منه فعلا ؟ وفي يوم ٢٦ مايو عام ١٩٦٧ وصل ابا ايان الى البيت الابيض وتوجه فوراً لمقابلة الرئيس الامريكى جونسون ، وشاع في الدوائر الصحفية الامريكية على اثر هذه المقابلة ان الرئيس جونسون وعدا وزير الخارجية الاسرائيلية بان يتولى شخصيا قضية الملاحاة في

خليج العقبة وان كان الرئيس الامريكى صرح رسمياً بأن الولايات المتحدة سوف تقف من الازمة موقف الحياد فكراً وقولاً وعملاً .

ووجه الرئيس جونسون على اثر ذلك رسالة شخصية الى الرئيس ناصر واقترح سحب الحشود المصرية من الحدود الاسرائيلية ثم التفاوض فى وشنطن حول قضية الملاحة فى خليج العقبة .

وقد جاءت زيارة ابا ايان للولايات المتحدة بعد زيارة ليفى اشكول فى النصف الاول من شهر مايو ، وكان ليفى اشكول يطمح فى المساعدات الامريكية فلما انتهى من مهمته بعد مقابلة المسؤولين الامريكيين التف حوله الصحفيون من كل جانب ، وكان ليفى اشكول يبدو هادىء الاعصاب وهو يجيب على أسئلة الصحفيين وقد ارتسمت على وجهه علامات النشوة والفرح ووجه اليه احد الصحفيين الاسئلة التالية :

— اذا هوجمت اسرائيل بالقوة من جيرانها ، فهل تتوقع النجدة من الولايات المتحدة الامريكية وربما من بريطانيا وفرنسا ؟
فانطلق اشكول يقول :

— بالتاكيد اننا نتوقع مثل هذه النجدة ، اننى لا اريد اللامهات الامريكيات ان يبكين على دماء ابنائهن التى تسفك هنا ، ولكننى بالتاكيد اتوقع هذه النجدة ولا سيما اذا اخذت فى الاعتبار جميع الوعود المؤكدة الصادرة الى اسرائيل ، ولقد حصلنا على هذه الوعود عندما طلبنا السلاح من الولايات المتحدة فقبل لنا « لا تنفقوا اموالكم ان الاسطول السادس هنا » ولقد كانت اجابتنا على هذه النصيحة هى ان الاسطول السادس قد لا يكون فى متناول اليد بالسرعة الكافية لسبب أو آخر ولهذا فلا بد لاسرائيل ان تكون قوية وهذا هو السبب فى اننا انفقنا كثيرا من المال على السلاح بما لا يتناسب مع عدد سكاننا .

وعاد الصحفي يسأل ليفى اشكول :

— هل تشتري السلاح حاليا من الولايات المتحدة ؟

فقال اشكول : اجل .

فقال الصحفي : ما نوعه ؟

فقال اشكول : طائرات مقاتلة من طراز سكاي هوك .

فقال الصحفي : ما عددها ؟

فقال اشكول : لا أستطيع ان افضى لك بالعدد لان هذا سر حربى

ولكننى أستطيع ان اقول اننا نأمل ان نحصل على هذه الطائرات خلال عام .

وقد رحبت كثير من الصحف الامريكية بزيارة ليفى اشكول و ابا ايبان ونشرت صحيفة « شيكاغو تريبيون » في ٢٢ مايو عام ١٩٦٧ مقالا تقول فيه ان الولايات المتحدة الامريكية ملتزمة بأمن اسرائيل وهذا الالتزام يكمن وراء الجهود التى تبذلها حكومة جونسون وراء الكواليس .

ونقلت اذاعة وشنطن في ٢٧ مايو ١٩٦٧ تصريحاً للسنااتور واين موريس طالب جونسون بارسال الاسطول الامريكى لاقتحام حصار العقبة .

والعجيب ان ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية قام بحركة مسرحية لمقابلة الرئيس جونسون اذ طلب الاجتماع بالرئيس الامريكى قبل الموعد المحدد لمقابلته بساعتين واذيع انه ابلغه ان برقية عاجلة من حكومته ابلغته ان القوات السورية المصرية ستهجم على اسرائيل خلال ٢٤ ساعة وكان القصد من هذه المناورة ذر الرماد فى العيون والقاء سحابة من الدخان على المحادثات الامريكية الاسرائيلية ، وقام مستشار جونسون وقتها باستدعاء السفير العربى واعرب له عن قلق حكومته من هذه الانباء رغم انه اعترفه

له بأن المعلومات التي لدى واشنطن تؤكد عدم صحة هذا الكلام ،
وابلغه رسالة شفوية من جونسون ناشد فيها الجمهورية العربية
المتحدة ضبط النفس والامتناع عن أى عمليات عسكرية هجومية .

وكانت اسرائيل قد حصلت رغم هذه السحب الكثيفة التي
تثيرها حولها على معونات حربية واسعة النطاق واخذت تشتري
السلاح من أى مصدر غربي وبلغت المساعدات العسكرية الى
اسرائيل عشرة الاف مليون دولار في الفترة الواقعة بين ١٩٤٨ ،
١٩٦٥ دون أن تستنزف مواردها الخاصة .

وفي مدى اربع سنوات من ١٩٦٠ الى ١٩٦٤ حصلت اسرائيل
من المانيا الغربية مجانا على اسلحة قدر ثمنها بمبلغ ٦٤ مليون دولار
وتكونت هذه الاسلحة من ٦٠ طائرة هليكوبتر ونورداتلس للنقل
وفوكاماستر للتدريب ، ٩٠٠ اوري ومقطورة ، ٦٠٠ دبابة طراز
م-٤٨ وعدد من المدافع والصواريخ المضادة للدبابات ومظلات
الهبوط وسيارات الاسعاف واضطرت المانيا الى ان تضع حدا
لهذا بعد ان انفضح امرها امام العرب ، كذلك حصلت اسرائيل على
السلاح من فرنسا في بداية الامر وتلقت اعدادا وفيرة من الطائرات
والدبابات بدون حساب أيام العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وبعده ،
ولكن فرنسا أصبحت أقل حماسة لتسليح اسرائيل بعد ان حصلت
الجزائر على استقلالها وتوثقت علاقاتها مع العرب .

ورغم كل هذه المعونات العسكرية التي تدفقت على اسرائيل
كسبيل العزم فان المسؤولين الاسرائيليين كانوا يزعمون التمسك
بمبادئ السلم الدولي ومسك الأعصاب فقد صرح وزير الدفاع
الاسرائيلي موسى ديان في مؤتمر صحفي عقده في مساء السبت
٣ يونيو وطبقا لتحقيق جريدة « اورشليم بوست » بأن وقت الرد
العسكري على الحصار المصري المضروب حول مضيق تيران قد
فات ، ولكن التنبؤ بما يمكن ان تؤدي اليه الجهود الدبلوماسية

لا يزال سابقا لأوانه ، وأضاف موسى ديان قائلا ، لقد اختارت الوزارة قبل دخولي فيها طريق العمل الدبلوماسي ولا بد ان تتيح للوزارة فرصة اختبار امكانيات هذا الطريق .

والواقع ان العمل الذي قامت به الجمهورية العربية المتحدة في خليج العقبة ومضيق تيران امر مشروع ويتمشى مع سيادة الدولة والقوانين الدولية .

فان خليج العقبة خليج عربى مغلق ليست له اى صفة دولية ومياهه ومداخله ومضايقه عربية ، وغير مفتوحة للمياه الدولية اقرت هذا وايدته المواثيق الدولية وقرارات الامم المتحدة .

اما ميناء « ايلات » الذى يصدر منه البترول الايرانى الى اسرائيل بنسبة تصل الى ٩٠ ٪ من قيمة الصادرات البترولية فقد اقيم على ارض فلسطينية اهداها جلوب القائد البريطانى للقوات الاردنية الى اليهود عام ١٩٤٩ عقب الهدنة مباشرة وكانت تشغل المكان نقطة حراسة فلسطينية اسمها « الرشاش » وقد حولها اليهود الى ميناء « ايلات » وكانت السيطرة العربية على الخليج كاملة حتى وقوع العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وتقرر وجود قوات طوارئ دولية سمحت لاسرائيل بالمرور وتوجد عند مدخل الخليج جزيرة تيران وتبعد عن الشاطئ المصرى باربعة اميال ، وشرق جزيرة تيران تقع جزيرة « صنافير » وتبعد ميلين عن تيران اما ساحل الخليج فيمتد لمسافة ٢٨٠ كيلو مترا وتقع عليه حدود الجمهورية العربية المتحدة ، والمملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية .

وبلغ اتساع الخليج نحو سبعة اميال وهو مياه اقليمية مصرية ليس لاسرائيل اى سيطرة عليها او تدخل فى امرها .

ولذلك فان اعلان اغلاق خليج العقبة فى وجه السفن الاسرائيلية والسفن التى تحمل مواد استراتيجية لاسرائيل ولو كانت السفن

غير اسرائيلية عمل مشروع تقره القوانين الدولية ولا غبار عليه
بالمرّة .

وقد ثارت حول خليج العقبة ومضيق تيران مناقشات كثيرة
امتلات بها انهر الصحف الغربية ولكن الحقائق التاريخية كما سبق
ان وضحنا تثبت أن هذا الخليج خليج عربى مارست الدولة العربية
سيادتها عليه منذ اقدم العصور وبدون منازعة ، وقد مارست
الدولة العثمانية سيادتها على خليج العقبة حتى الحرب العالمية
الاولى ثم ورثت الدول العربية بعد انفصالها عن الدولة العثمانية
في اعقاب تلك الحرب حقوق السيادة على خليج العقبة ومارستها
بصفة مستمرة وبدون منازعة ، وزيادة على ذلك كانت الدول
العربية تحرص على اعتبار مياه خليج العقبة مياهها داخلية وذلك
لانه يتغلغل في اراضى الدول العربية لمسافة ١٠٠ ميل بالتساع
لا يريد في اوسع اجزائه على ١٨ ميلا الامر الذى يجعل الملاحة فيه
بدون رقابة امرا يمس امن تلك الدول . كما ان الدول المصرية
كانت تنظر الى خليج العقبة باعتبار انه ممر له اهميته الكبرى
للعالم الاسلامى لانه الطريق التاريخى للحج الى بيت الله الحرام
كما أن مضيق تيران يقع في داخل المياه الإقليمية المصرية التى تبلغ
١٢ ميلا بحريا وفقا للقرار الجمهورى الصادر في ١٧ فبراير عام
١٩٥٨ . والحقيقة التى لا تغيب عن أى منصف من رجال القانون
الدولى ان الركنين اللذين حددتهما محكمة العدل الدولية لاعتبار
المضيق مضيقا دوليا غير متوافرين فيه ، لأن مضيق تيران يربط
بين بحر عام هو البحر الاحمر ، وبحر وطنى وهو خليج العقبة ولان
مضيق تيران لم يسبق ان وصف بأنه مضيق دولى كما ان الفترة
التي اعقبت عدوان ١٩٥٦ الى عام ١٩٦٧ ليست صالحة لان تكون
مرقا دوليا لانها جاءت على اثر عدوان ثلاثى غاشم على البلاد .

الفصل الثانى

التجسس وحرب الأثير

تتكشف بعد الحروب دائما الأخطاء وتتجلى الاعمال ، وتظهر الحقائق ، فتستطيع الجيوش بعد ذلك أن تتبين فى أى فلك كانت تدور ، وعلى أى خطة كانت تسير ، وما مدى فعالية هذه الخطة فى احراز النصر ، أو جلب الهزيمة ، كما يتكشف بعد الحروب دور القادة والجنود ، والتيارات الواضحة والخفية التى سادت المعركة فيتخذ القادة من ذلك عبرة لهم فيما هو مقبل من الأيام ويقدم من المعارك .

وقد استطاع العدو خلال المعركة أن يستخدم وسائل خسية ولجأ الى الخبث والخديعة ، وتؤكد الصحف الغربية ان المخابرات الاستعمارية استطاعت أن تصل الى معلومات فى غاية الخطورة عن إعداد القوات المصرية المسلحة ، وتوزيعها وعدد وأنواع الطائرات الموجودة فى كافة القواعد الجوية المصرية مما سهل للعدو الاسرائيلى

مهمة ضرب المطارات الجوية ، والقضاء على قوة الطيران في فترة وجيزة .

كما توصلت المخابرات الاسرائيلية ايضا الى معرفة السفارة وسرعة ذبذبات الاتصال اللاسلكى بين وحدات القوات المصرية وقد استفادت اسرائيل من ذلك الى ابعد الحدود في المعارك التى نشبت بين القوات المصرية والاسرائيلية .

وذكر الكاتب الكبير الاستاذ محمد حسنين هيكل في ٢٤ مايو ١٩٦٨ مقالا ذكر فيه ان اسرائيل قد وصلت الى حد انها كشفت صراحة انها تتسمع على كل المواصلات اللاسلكية داخل العالم العربى وبين العالم الخارجى ، كما انها كشفت تلميحا انها كانت تملك الكثير من مفاتيح الشفرة السرية العربية ، وكان من السهل تصور المصدر الذى حصلت منه اسرائيل على كل ما حصلت عليه من مفاتيح الشفرات السرية وهو وكالة الامن القومى الأمريكى .

ويروى كهن مؤلف كتاب « محطمو الرموز » انه في زيارة لمبنى وكالة الامن القومى فى واشنطن شاهد بنفسه مفاتيح الشفرة السرية الخاصة بقيادة الأركان العامة للجيش السورى .

ووكالة الامن القومى الأمريكى هى الوكالة السرية التى تعمل لحسابها كل سفن التجسس الأمريكية فى العالم وبينها السفينة « لىبرتى » صاحبة الدور المشبوه المشهور في حرب الأيام الستة .

ونشرت جريدة الفيجارو الفرنسية مقالا ذكرت فيه ان عملاء اسرائيل استطاعوا التقاط الحديث التليفونى بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين ملك الأردن .

وجلا المؤلف الروسى بيليايف وزميله فى كتاب « اطلساق الحماسة » دور بعض الجواسيس الاسرائيليين فى سوريا ومنهم ايلى كوهين وهو العميل رقم ٨٨ الذى يحمل لقب كمال امين

ويعيش في قلب مدينة دمشق وقد ارسل الى ادارة المخابرات الاسرائيلية اشارة جاء فيها ان ٣٠ مدفع ميدان عيار ١٢٠ ملميمتر، تنصب على الحدود السورية في مواجهة مستعمرة «ميشنمار» لخياردين» الاسرائيلية ، وكان جهاز الارسال عبارة عن ماكينة حلقة يخفيها في الحمام ١٤

اما دور السفينة « لوبرتي » فلم يعد خافيا على أحد فقد تناول دورها المعلقون السياسيون والعسكريون بكثير من التحليل .»

وذكرت النيوزويك الامريكية ان السفينة « لوبرتي » التي كانت راسية على بعد ١٥ ميلا من شاطئ سيناء كانت مهمتها النقاط الرسائل التي تصدر من غرفة العمليات من جهة سيناء وفك شفرتها على الفور ونقلها ، وهذه السفينة هي احدث قطع التجسس ومزودة باجهزة الكترونية وتستطيع الاتصال بأي مكان في العالم عن طريق الاقمار الصناعية .

وتردد ان اسرائيل استطاعت الحصول على نتائج عمليات استطلاع وتصوير لجميع المطارات عن طريق الطائرات يو ١٢ والاقمار الصناعية في خرائط دقيقة ومفصلة ، وقد استخدمت هذه المعلومات في ضرب المطارات المصرية . فضلا عن ان السفن التي كانت موجودة في شمال العريش وتتبع الاسطول السادس كانت بها اجهزة شوشرة على الرادار حتى تعجز اجهزة الرادار المصرية من التعرف على الطائرات المفيرة ، كما تمت عمليات شوشرة على اجهزة الاتصال بين الدبابات وبعضها وبين الدبابات وقياداتها .

ويقول المؤلفون الروس ان لوبرتي لم ترفع رايتها ، ولم يكن هناك أي علم على موضع القيادة كما ان القبطان لم يستجيب للمطالبة الملحة بتحديد جنسية السفينة وحينئذ هادت زوارق الطوربيد الى اطلاق قذائفها على السفينة المريبة . ولكن فجأة

رفعت السفينة ليبرتي علم الولايات المتحدة الأمريكية ، وسرعان
ما انسحبت زوارق الطوربيد الاسرائيلية وبادرت تل أبيب بطلب
(المغرة) من واشنطن ١٤

وسفن التجسس وحرب الأثير ، والتقاط الرسائل اللاسلكية
ونحوها أساليب حربية ظهرت منذ الحرب العالمية الثانية ، فان
السرعة العظيمة في القتال بين الطائرات اقتضت من الفريقين أن
يعتمدوا اعتمادا لا غنى عنه عن التليفون اللاسلكي والمخاطبات
اللاسلكية إذ لم يكن منها بد لحشد أسراب القاذفات وتوجيهها
ولتوجيه المطاردات الى القاذفات المغيرة أيضا وقد كان رادار عماد
الألمان والانجليز فيما اتخذوه من وسائل الدفاع ضد الطائرات
ورادار هو العين اللاسلكية الساحرة التي تبين الطائرات المغيرة
وتعين مواقعها .

وقد بدأ الانجليز يتخذون الأساليب اللاسلكية المضادة في
خريف عام ١٩٤٠ يوم بدأت قاذفات جورنچ تشن غاراتها في
الليل على مدن انجلترا ، وكان طيارو القاذفات الألمانية يوجهون
الى أهدافهم باتباع اشعة ضيقة من الرادار ترسل من قواعد
على سواحل فرنسا وبلجيكا ، وكانت هذه الخطوط تقطعها خطوط
أخرى مرسلة في الفضاء من قواعد في هولندا والنرويج وتكون
الأماكن التي تتقاطع فيها اندارا للطيارين بأنهم دنوا من أهدافهم .

وقد أحرز الألمان أول ظفر في ادخال الفساد على عمل الرادار
ففى شهر فبراير عام ١٩٤٢ تسللت البوارج الألمانية شارنهورست
وجيازناد، والبرنس اويجن، من نغر برست واتجهت الى بحر المانش
وقد لاحظ خبراء الرادار على الساحل اضطرابا في اجهزتهم كان
يسير في أول الأمر ثم ازداد قوة ، فلما بلغت البوارج مضيق
دوفر كان الاضطراب لا يزال مستمرا ، فمنع الانجليز من رؤية

سفنهم وطائراتهم ومن توجيهها ، ومرت البوارج الألمانية وهي آمنة ، ومن الأجهزة الحديثة جهاز لاجداث اللفط يسهل حمله في طائرة وهو جهاز بارع فأحد أقسامه جزء مستقل يفتش مناطق امواج الراديو تفتيشا آليا ، فاذا تبين اشارة ما على حديث دائر ظهرت نقطة من الضوء على لوحة ، وما على عامل الجهاز حينئذ الا أن يستوثق من مصدر الاشارة . ويستطيع ان يمحو الحديث الدائر كما يستطيع ان يسجله في نفس الوقت . وبلغ من نجاح هذا الجهاز ان استخدمه الالمان في الحرب الاخيرة ، واستعمله الحلفاء في ليلة ٢٢ : ٢٣ اكتوبر عام ١٩٤٣ يوم شنت القاذفات البريطانية هجوما قويا على مدينة « كاسل » وأدرك الالمان خلال الفارة أن خلا قد وقع وسمع رصاص الراديو البريطانيين يقول لطيارى الطارادات الليلية التى تأتمر بأمره « حذار من صوت آخر » وحذروهم من أن يضلّهم العدو ، وبعد أن انفجر الالمان بالسباب تدخل صوت المديع الانجليزى مقلدا صوت أحد الطيارين وقال : هذا الانجليزى يلعن ويسب فقال الالمانى « ليس الذى يسب هو الانجليزى بل انا » ولم تكد الفارة تشرف على ختامها حتى بلغ من اختلاط الأمر على الطيارين الالمان أن صار يسب بعضهم بعضا .

وقد انشأ الالمان الى جانب هذه الوسائل التجسس والتقاط الاخبار ، والتشويش وخديعة المقاتلين ادارة خاصة للاذاعة الدفاعية رجالها من خبراء الراديو ، وقد قامت بالتشويش على تلاق واسع فوق الموجات اللاسلكية على أوروبا وشجنت بقوة خليط من انغام ارغن بدوى ، وذبدبة مناشير موسيقية ، وشقشقة عصافير ، ولغظ اصوات ، ورنين مطارق السندان ، وصفارات بخارية واشارات مورس البرقية الصاخبة .

واخذت انجلترا بثأرها مستعينة بأجهزة اضافية للارسال

واذاعت البرامج ذاتها على موجات متعددة قد تصل الى ١٢ موجة مختلفة الأطوال .

وكانت غارات الحلفاء التى سبقت الغزو قد انزات بنظام الرادار الالمانى على ساحل اوربا الغربية وهنا خطيرا ، ولكن الالمان كان لهم بين شريورج ونهر السكلت اكثر من مائة محطة رادار ، وكان لابد من القضاء على محطات الرادار حتى يكفل النجاح للجيش التى تهبط فى منطقة نورماندى .

وحلقت اربع وعشرون قاذفة بريطانية وامريكية مجهزة بأدوات اللفظ على ارتفاع ١٨ الف قدم ، وظلت ساعات منوالية ترسل الاشارات التى تحدث الاضطرابات فى محطات الرادار الالمانية فى شبه جزيرة شريورج ولم يقتصر اثر عملها على اخفاء اسراب القاذفات المقاتلة بل اخفت ايضا الطائرات والساحبات التى تحمل الجنود ، ومنعت الالمان من تبين عمارة الغزو نفسها ، ولما دنت السفن من الساحل اشتركت اجهزتها فى اطلاق اشارات اللفظ والاضطراب .

وهكذا يقوم العلم بدور كبير فى تيسير دفة المعركة : وهذا درس تعلمناه من معارك يونيو ومن سفينة التجسس ليبيرتى ومن التقاط الاشارات اللاسلكية بين القوات المصرية . ومن تعطيل الاجهزة اللاسلكية فى الدبابات ، ومن التقاط الاحاديث التليفونية بين كبار المسؤولين حتى بلغ بهم الامر على حد تعبير مؤلفى كتاب اطلاق الحماة من تسجيل الحديث التليفونى بين السيد الرئيس عبد الناصر والملك حسين ، ومن التشويش على كثير من الاشارات اللاسلكية ومن ارسال توجيهات زائفة للجنود فى شبه جزيرة سيناء للانسحاب ، فهذه الاحداث كلها كان لها مثيل فى الحرب العالمية الاخيرة وثبتت قدرة العلم والتكنولوجيا فى خوض المعارك ،

ولكن الذى يفرينا فى ذلك كله ان اسرائيل كانت تحارب بقوى
تزيد عن قواها ، واننا منينا بهزيمة تزيد عما نستحق كما ان
اسرائيل احرزت كسبا فوق ما تستحق ١٨٠٠ . ولولا مساندة
الاستعمار لاسرائيل بوضعها ركيزة فى الشرق الاوسط ما تمكنت
اسرائيل من الحصول على ادنى ظفر فى المعركة : وما كان لخطئة
الحمامة ان تنفلد او تخرج الى حيز الوجود . وهذه حقيقة واضحة
لا تخفى على اعين القادة فى انحاء العالم بل لا تخفى عن اعين
الشعوب ، ومهما كابر اعوان اسرائيل ، وامعنوا فى اللجاج فان
هذا لا ينقص من الحقيقة شيئا .

الفصل الثالث

الزحف المقدس

كان الظلام يسود القاهرة ، بعد أن هبط الليل وتوارى قرص الشمس في الأفق ، واحتجبت الغزالة في خدرها .

وكان اليوم يوم الجمعة وهو يوم الدعة والراحة عند كثير من الناس بيد أنك كنت تلاحظ الناس وقد تلاشى من وجوههم أى اثر للدعة أو الراحة ، فقد خلف العدوان الصهيونى على وجوه الناس امارات كئيبة من الحزن والشجن . وكان الناس يهرعون الى بيوتهم فى لهفة لا لأن النارات الجوية تخيفهم ولا لأن الظلام يهولهم ولكن لانهم كانوا على موعد مع عبد الناصر .

نعم فقد كان عبد الناصر قرر أن يوجه خطابا الى الشعب فى نفس اليوم فى الساعة الثامنة الا ثلثا عن طريق الاذاعة والتليفزيون . وكان بعض الشباب يحمل فى يديه « ألوانا مختلفة من الراديو الترانزستور » تتصاعد منه موسيقى حماسية حارة تلهب النفوس

وتثير الحمية في القلوب ، كما كانت تتصاعد منه أغنيات جماعية ،
ونداءات حارة يرددها المديح بلهجة متوقدة ونبرات مثيرة .

والقى عبد الناصر كلماته على الشعب في يوم ٩ يونيو عام ١٩٦٧
وترأت صورة عبد الناصر على شاشة التليفزيون وقد ارتسمت
عليها امارات الحزن والاسى ، وبدا كان الرئيس قد قطع من عمره
سنوات الى الامام . فقد بدا كان الشيب قد ملا فودية .

وانصت الناس لكلمات عبد الناصر . كان يتكلم في صدق وايمان
وفي حب واخلاص ، وقرر عبد الناصر ان يتنحى عن الحكم ويكلف
السيد زكريا محيي الدين بان يتولى منصب رئيس الجمهورية وان
يعمل بالنصوص الدستورية المقررة ، وتعهد ان يضع كل ما عنده
تحت طلبه ، وفي خدمة الظروف الخطيرة التي يجتازها الشعب
وقال « لقد كنت اقول لكم دائما ان الامة هي الباقية وان اى فرد
مهما كان دوره ، ومهما بلغ اسهامه في قضايا وطنه هو اداة لارادة
شعبية . وليس هو صانع هذه الارادة الشعبية ، وان قوى الاستعمار
تتصور ان جمال عبد الناصر هو عدوها ، واريد ان يكون واضحا
امامهم انها الامة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر والقوى
المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائما بانها
امبراطورية لعبد الناصر وليس ذلك صحيحا لان امل الوحدة العربية
يبدأ قبل جمال عبد الناصر وسيبقى بعد جمال عبد الناصر » .

ولم يكذب بيان جمال عبد الناصر يداع على الشعب حتى توافدت
جموع الشعب من كل مكان رغم ما كان يسود القاهرة من ظلام
دامس واتجهت صوب مجلس الامة وصوب مبنى الاذاعة والتليفزيون
وصوب مجلس الوزراء ، وظلت تهتف باسم عبد الناصر قائلة :
لا رئيس الا عبد الناصر ، كما هتفت الجماهير الغفيرة قائلة
« سجل يا سادات احنا عايزين ناصر بالذات » .

وترأت على شاشة التليفزيون صورة واضحة لجموع الشعب
الغفيرة وهى تنتقل في كل مكان هاتفة باسم عبد الناصر ، ورغم

صفارات الإنذار التي انطلقت في القاهرة فان جموع الشعب لم تتفرق ولم تستجب لتلك الدعوات الموجهة اليها من الميكروفونات المعلقة في عربات بوليس النجدة .

وتدفقت الجموع الى بيت الرئيس جمال عبد الناصر ، وصوتها يخترق كل الحواجز اليه وحينئذ قرر عبد الناصر ان يخضع لارادة الشعب لأن صوت جماهير الشعب بالنسبة اليه امر لا يرد فاستقر رأيه ان يبقى في مكانه وفي الموضع الذي يريده الشعب منه ان يبقى حتى تنتهى الفترة التي نتمكن فيها جميعا من ان نزيل آثار العدوان .

وقد كان من المقرر ان يتوجه السيد الرئيس جمال عبد الناصر في اليوم التالي لتنحيه ليلقى كلمته الى ممثلى الشعب في مجلس الأمة ولكن وصوله الى المجلس كان استحالة مادية في شوارع غطت عليها أمواج الجماهير المتدفقة وقد أملى السيد انور السادات تليفونيا كلمته التي كان ينوى أن يلقياها على مسامع ممثلى الأمة .

وما كاد السيد انور السادات يلقى كلمة السيد الرئيس ويلدخ السيد زكريا محيى الدين بيانه حتى غمرت الفرحة الجموع الفخيرة التي تحيط بمجلس الأمة وتسد الشوارع والطرق ، وانهالت الحناجر بالهتاف ، ودمت الأكف من التصفيق والتهليل بحياة الرئيس عبد الناصر .

وكان يوم ١٠ يونيو عام ١٩٦٨ يوما مشهودا كما كانت ليلة يوم ٩ يونيو من ليالى العصر الخالدة . التي وضحت مدى ما يكنه الشعب نحو قائده ومدى ما يكنه القائد نحو شعبه الذي يعتقد انه هو القائد وهو المعلم وهو الخالد .

وكان يوما ١٠ ، ٩ يونيو حجة ناصعة للحب المكين في قلوب الشعب ودليل قاطع على أن الثورة ماضية في طريقها الى الامام لتتمحو آثار العدوان .

الفصل الرابع

نخب الانتصار

سرت الفرحة في قلوب الصهاينة عقب معسارك يوليوي واعتقدوا أنهم تسبوا الجرب بعد ان خاضوا غمار الحرب التي ظنوا انها الحرب التي تنتهي بها كل الحروب .

ولكن دهاقين السياسة الاسرائيلية ظلوا يتوجسون تخيفة من القوات العربية واخذوا الحذر مخافة ان تدهمهم هذه القوات او يحيل أحلامهم البعيدة الى قطعة من العذاب !

ولكن ماذا يفعل موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي ورئيس المؤسسة العسكرية في حكومة ليفي اشكول وهي هيئة اركان الحرب ووراءها الغالبية العظمى من الضباط المحترفين في الجيش الاسرائيلي ، واجهزة المخابرات العسكرية والسياسية ومعاهم الدراسات الاستراتيجية التابعة لهيئة اركان الحرب الاسرائيلي

وكل التنظيمات التي يمتد إليها اشراف وتوجيه الجيش الاسرائيلي وافواج الضباط السابقين الذين يمكنهم بكل مرافق اسرائيل الحيوية ويتلقون تعليماتهم من الجيش بصرف النظر عما تقوم السلطة المدنية الرسمية وجماعة السياسيين الذين ربطوا لسبب أو آخر حياتهم السياسية بدور الجيش الاسرائيلي .

ماذا يفعل موسى ديان امام هؤلاء جميعا . لا بد ان يظهر امامهم من ضروب الزهو والفخر ما يرضى كبريائه ويجعل رأسه مرفوعا بين هؤلاء جميعا وهو الذي يسعى دائما أن تكون مقاليد السلطة في يده ؟ ! ويلقى عليه الأضواء ويجمع حوله مراسلي الصحف والاذاعات الأجنبية .

هل يعقد موسى ديان اجتماعا لكل هؤلاء ليرز شخصيته ؟ ويتبه عجبا وخيلاء . حقا ان موسى ديان في الثانية والخمسين من عمره ولكنه يحس انه في حاجة الى ان يحاط بهالة من الاعجاب والتقدير ؟ !

الباب الثالث

نكسات وانتصارات

الفصل الأول

ماذا تصنعون بالحياة ؟

لست أدري هل كان موسى ديان يعرف أن الحرب مد وجزر وهزيمة وانتصار أم غاب هذا عن ذهنه وهو فرح ثمل يستقبل زواره يوم زواج ابنه وابنته في ٢٢ يوليو عام ١٩٦٧ .

ولكن الباحث في التاريخ العسكري يصل الى نتيجة واضحة لا شك فيها وهي ان الانكسارات قد تتلوها الانتصارات وان النكسات قد تؤدي الى الفوز في الفزوات . ولنا في التاريخ الاسلامي والتاريخ الاوربي نماذج كثيرة لا تحصى ولا تستقصى . بل لنا في تاريخ الفراعنة امثلة كثيرة لا يكاد يحصرها الباحث .

والدينا في غزوة احد دليل ناصع البيان فقد كاد المسلمون يحصلون على الفوز في المعركة وتقهقر المشركون بيد ان المسلمين لما راوا تقهقر المشركين أهمل الرماة وصية الرسول اياهم بالثبات

في اماكنهم حتى يعان هو انتهاء القتال ، وانكفأوا يجمعون ما تركه العدو وراءهم من الغنيمة والاسلاب ، ونهض فيهم عبد الله بن جبير خطيبا يحذرهم من مغبة ما يصنعون ، ومن سوء ما يفعلون فلم يسمعو بل اندفعوا يتعجلون الغنيمة ويستولون على الاسلاب فانتهر خالد بن الوليد فرصة خاو الجبل من الرماة وكان لم يعلن اسلامه بعد فأتى المسلمين من خلفهم واعمل الرماح في ظهورهم ، واضطرب المسلمون لهذه المفاجأة واختل نظامهم واضطربت صفوفهم حتى تعرضت حياة الرسول للخطر الداهم والشر المبين وشاعت اشاعة بين الجنود أن محمدا قد مات وقام ابن قميئة وكان من المشركين وخطب في الناس قائلا : الا أن محمدا قد قتل .

وتخاذل المسلمون وتسرب اليأس الى قلوبهم الا ان الحمية ثارت في نفوس جماعة منهم وعلى رأسهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك الذي اخذته الحمية وصاح في نخوة عربية وصوت جهورى : ماذا تصنعون بالحياة من بعده ؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واحاط نفر من المسلمين برسول الله واخذوا يتلقون عنه السهام والنبال وطعنات السيوف في عزيمة وثبات .

والحق يقال أن العدو قد استخدم « الاشاعة » في تعطيل الروح المعنوية لجيش المسلمين ، والاشاعة سلاح من اسلحة الحرب حتى في العصر الحديث ، فائر ذلك في نفسية المقاتلين .

وعلى الرغم مما بذله المسلمون من تضحيات في سبيل الحفاظ على حياة الرسول فقد جرح الرسول في وجنته وكسرت رباطيته ، وشج في راسه كما انه وقع في احدى الحفر التى حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، واستشهد من المسلمين اكثر من سبعين .

اليهود في اطامهم فحاصروهم وأمر بقطع النخيل وتحريقه ثم التقى الله الرعب في قلوبهم فسألوا الرسول أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن يأخذوا معهم ما تحمل الأبل من المال إلا الدروع فأجابهم الرسول الى ذلك . وكان الرسول قد أرسل اليهم محمد بن سلمة فقال لهم : ان رسول الله أرسلني اليكم ان اخرجوا من بلادى ، لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما همتم من الغدر بى . لقد اجلتكم عشرا ، فمن رثى بعد ذلك ضربت عنقه » .

وانتصر المسلمون بعد ذلك في غزوة الاحزاب واستطاعوا ان يثأروا لما حاق بهم في احد وجابهوا قوة كبيرة من المشركين بيد انهم انتصروا عليهم ، وأشار سلمان الفارس على الرسول بحفر الخندق فعمل الرسول بنفسه في حفره ترفييا للمسلمين في الاجر وفرغوا من حفره قبل وصول قريش على الرغم من تسلل المنافقين وهربهم اثناء العمل دون استئذان الرسول .

وكان الخندق شمالي المدينة لان الجهات الاخرى كانت محصنة بالجبال والنخيل والبيوت واختلف المؤرخون في مكان الخندق وطوله ويظهر لنا انهم خطوه في الجهة الشرقية الى الشمال فالقرب ثم الى الجنوب قليلا ، واذا صحت الرواية القائلة بان الرسول قد وكل الى كل عشرة من المسلمين أن يحفروا قطعة من الخندق طولها اربعون ذراعا فاننا نستطيع ان نستنتج ان طول الخندق قد بلغ اثني عشر الف ذراع على الأقل اذا فرضنا انه لم يعمل في حفر الخندق الا رجال الجيش الذين اتفقت المصادر على انهم كانوا ثلاثة آلاف وانتصر المسلمون نصرا مؤزرا في غزوة الخندق بعد حصار طويل للمشركين كما انتصروا بعد ذلك في غزوات اخرى انتهت بغزوة الفتح ودخول الناس في دين الله أفواجا .

وهكذا تحولت الهزيمة الى انتصار ، كما تحولت النكسة الى فوز ، واستفاد المسلمون من المحنة التى مرت بهم .

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى للمسلمين في كتابه العزيز مثلا آخر استمدّه من غزوة حنين إذ قال عز وجل « يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سبحانه على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » .

وكان المسلمون قد تفرقوا في أول المعركة وولوا الأدبار لما وجدوا من قوة المشركين إذ كان على رأس هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل فكان كلما أدرك المسلمين طعن برمحه وهوازن وثقيف وأنصارهما منحدرين من ورائه يطعنون وتارت بمحمد الحمية فأراد أن يندفع ببلفته البيضاء في صدر هذا السيل المتدفق من جيوش العدو ولكن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أمسك بخطام بقلته وحال دون تقدمها ، وتفرق جمع المسلمين مدعورين بيد أن العباس بن عبد المطلب نهض في المسلمين خطيبا وهو يقول : يا معشر الأنصار الذين أووا ونصروا ، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ، أن محمدا حي فلهوا .

وهنا تجمع جيش المسلمين مرة ثانية واندفعوا إلى المعركة مستهينين بالموت في سبيل الله حتى تم لهم النصر المبين ، وفن المشركون لا يلوون على شيء تاركين وراءهم نساءهم وأبنائهم وأموالهم فنيمة للمسلمين ، وفيها ثمان وعشرون ألفا من الأبل ، وأربعون ألفا من الشاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، أما الأسرى فقد بلغ عددهم نحو ستة آلاف أسير .

الفصل الثاني

الصليبيون والنفار

وأذا تمدينا عهد الرسول الى القرن السابع الهجرى ووقفنا عند
الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة الملك اويس التاسع ملك
فرنسا عام ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) وجدنا هذه الحملة تتوغل في
الأراضي المصرية ، وتنتصر في كثير من المارك وتستولى على دمياط
ومعانة المنصورة حتى لاح شيخ الخفار الداهم قويا رهيبا ، ولكن
المصريين سددوا في وجه العدو الغير وانزلوا بالصليبيين افدح هزيمة
نزالت عند موقعة مدلين ، وفرقت جمعهم قتلا واسرا ، واسروا
الملك اويس التاسع وأمراه وذلك في المحرم عام ٦٤٨ هـ ابريل عام
(١٢٥٠ م) .

وقد واجه العالم الاسلامى في ذلك الوقت خطرا مروعا ، اذا
نشر في جوارح التتار من سهول آسيا الوسطى بقيادة جنزكين خان
واجتاحت أواسط الصين وشمال غربى الهند وخراسان ونفذت الى
سهول روسيا حتى نهر الدون ، وانسابت نحو الجنوب الغربى

واجتاحت فارس في سرعة مذهلة ، ثم اتجهت هذه الجموع البربرية نحو الشرق بقيادة عاملها هولوكو ، وزحف التتار على بغداد وحطموا كل مقاومة واضطر الخليفة الى التسليم ودخل التتار الى بغداد دخول الحيوانات الضارية ، والوحوش الكاسرة فقتلوا مئات الألوف من الناس ، ونهبوا الخزائن والدخائر وقضوا على الخلافة العباسية وعلى معالم الحضارة الاسلامية ثم قتلوا الخليفة المستعصم بالله وافراده أسرته واكابر دولته في صفر عام ٦٥٦ هـ فبراير عام (١٢٥٨ م) . واسدل الستار على حياة الدولة العباسية بعد خمسة قرون في الحكم .

وقد الحق جنكيز خان بالعالم الاسلامي كثيرا من الاضراب ، واهان المقدسات والحرمان حتى ان مساجد بخارى التي كانت مقر التقى والورع ومصدر العلم والحكمة اتخذ فيها جنكيز خان اسطبلات الخيول المغولية واسلم للسيف الكثير من سكان سمرقند وبلغ وساق عددا كبيرا من الاسرى المسلمين الى ساحة الموت حتى اعمل السيف في رقابهم دون رحمة وبعد ان استولى على بخارى عام ١٢١٩ م وصف نفسه في احدى خطبه بأنه عذاب الله ارسله الى الناس عقابا لهم على خطاياهم .

ويقول ابن الاثير المؤرخ المعاصر لجنكيز خان انه كان ينتفض اقرقا عند سماعه بهذه الأهوال ويود لو أن أمه لم تلده وحتى بعد مضي قرن عندما زار ابن بطوطة بخارى وسمرقند وبلغ وغيرها من بلاد ما وراء النهر فانه وجدها لا تزال كومات من الخرائب والانتقاض .

وكان جنكيز خان أو تيموجين أي الصلب المتين يقود حملة لا اخلاقية لا دينية الى جانب غزوه العسكري المدمر ومن ذلك أنه اباح للرجل حق شراء زوجة وله ان يتزوج من أختين ويتخذ أكثر من محظية كما ازم التتار عند رأس كل سنة بعرض سائر بناتهم الابتكار على السلطان ليختار منهن لنفسه ولأولاده ، ودعا الى عدم

غسل الثياب بل يجب ان تلبس حتى تبلى وجميع الأشياء طاهرة
وليس ثمة شيء نجس .

واشترك مع جنكيزخان في عدوانه ابنه تولوى الذى اظهر
وحشية فظيعة في معاملة اهل البلاد التى غزاها وخرّب مدينته
خراسان تخريبا شديدا وساق اهلها على النحو الذى وصفه احد
العلماء فقال « فساقوهم الى فضاء وراء البساتين كانهم قطعان
الضأنية تسوقها الرعاة ، ولم يمد التتار ايديهم الى سلب ونهب
الى ان حشروهم الى ذلك الفضاء الواسع والفضجيج يشق جلباب
السماء والسياح يسد منافذ الهواء ، ثم امروا الناس ان يكتفوا
بعضهم بعضا ففعلوا ذلك خذلانا فحين كتفوا جاعوا اليهم بالقوس
واضجعوهم على المدى واطعموهم سباع الارض وطيور الهواء ، فمن
دماء مشفوكه ، وستور مهتوكة ، وصغار على ندى امهاتها مقتولة
متروكة ، وكان عدة من قتل بلسان اهلها ومن انضوى اليها من
الغرباء ورعية بلدها سبعون الفا .

واستلمعت جحافل التتار ان تدخل مدينة اربل في شمال
العراق ، وفي عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م التقى جنكيزخان في سمرقند
بقادة جيوشه بعد ان دمرت اعظم سور يقف في طريق التتار الى
الشرق العربى ، وبعد ذلك بثمانى سنوات هاجم التتار مدن العراق
وقتلوا كل من يقع في ايديهم من الناس ، وبلغت اعمال التتار
الوحشية ابشع صورها واشنع فظائعها في مدينة المؤنسة وهى قرية
بالقرب من الموصل ، اما هولاء حفيد جنكيزخان فانه قاد موجة
الزحف العارم للمغول فاكتسح اقاليم واسعة من اسيا وحطم كثيرا
من المدن ، واسلمها طعمة للنيران ومحي من الوجود السواد الاعظم
من سكانها ، وكانت الروائح الكريهة تنبعث من الجثث التى كانت
مبعثرة دون دفن في الشوارع واراد ان يتخذ « بغداد » عاصمة لملكه
لان تدميرها لم يكن تاما كما حدث في البلاد الأخرى .

وفي عام ١٢٦٠ كان هولاكو يهدد شمال سوريا وقد استولى هناك على حماة وحارم وذلك بعد استيلائه على حلب التي قيل انه اسلم فيها عددا يقرب من خمسين الفا من السكان الى السيف .

ولم يكد هولاكو يفرغ من غزو الشام حتى وضع خطته لغزو مصر وعهد بتنفيذ خطته الجهنمية الى زميله كتيافاوين ، وييدر ، وفي صباح يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عام ٦٥٨ هـ (٦ سبتمبر عام ١٢٦٠ م) نشبت بين جيوش التتار وجيوش الامير ركن الدين بيبرس معركة حامية في مكان يقع بين بيسان ونابلس عند قرية عين جالوت ، وكان التتار يحتلون اماكن مرتفعة فانقضوا على المصريين بقوة حتى اوشكت ان تشفرق صفوفهم ، واضطرب نظامهم وكادت تلحقهم الهزيمة ولكن السلطان بادر باستئنف القتال وشن هجومه بقوات القلب وهو بصييح (وا اسلاماه) وايدته قوات الجانبين بعنف وسرعان ما اختل توازن التتار وارتدوا نحو التلال الواقعة على مقربة من بيسان وقتل قائدهم كتبغا خلال المعركة واسر ابنه .

وقد اشترك الملك المظفر قطز بنفسه في هذه المعركة وواجه هجمات التتار المتوالية دون ان تضعف له ارادة ، ولم تضعف روحه المعنوية انتصارات التتار الوقتية ويقال ان الجواد الذي كان يمتطي صهوته سقى من تحتته فتنازل له أحد الفرسان عن فرسه ومضى يواصل القتال في عزم لا يلين ، وصاح في الجنود « وا اسلاماه » (يا الله انصر عبدك قطز على التتار) .

وحقق الله عز وجل دعاءه فانصر المصريون على التتار وردوا هائلة هذا العدوان الاثيم ، وصدوا هذا الخطر الداهم الذي يتربص بهم ، وقد نزل السلطان من على فرسه عقب انتصاره ومرغ وجهه الى الارض وقبلها وسجد لله شكرا على ما اولاه الله من نصر وحمل رأس كتبغا نوين قائد التتار الى مصر ففرح الناس بهذا الفوز العظيم ، وهكذا استفاد المصريون من الهزيمة واستطاعوا ان يحولوا النكسة الى نصر ، وطرده التتار من ديارهم شر طردة .

الفصل الثالث

طرد الهكسوس

ومن يرجع الى العصر الفرعوني يجد مصر تتعرض لخطر
جسيم كذلك الخطر الذى تعرضت له من جانب التتار فى القرن
الثالث عشر الميلادى ، وأعنى بذلك الخطر خطر الهكسوس عام
١٧٠٠ ق.م . وقد هاجمت جحافل الهكسوس أرض مصر فى
أواخر الدولة الوسطى وكانوا مجموعة مكونة من هجرات الشعوب
الجبالية الشمالية الهندية والأوربية من أوطانها الممتدة فى أواسط
آسيا وحول بحر قزوين ومنها القبائل الكاشية التى نزلت من فوق
الجبال الشاهقة التى تحدد بابل من الشرق وقد هاجمت هذه
القبائل أرض مصر فى عنف وقسوة واستخدمت سلاحا حريشا
جديدا لم يكن موجودا من قبل وهو العربة والحصان فبثت الرعب
فى قلوب المصريين واثارت الهلع فى صفوفهم ، فقد كان هذا السلاح
الجديد يستعمل لأول مرة فى الحروب .»

ورغم هذا كله فان الشعب المصرى هب في وجه الهكسوس وحاربهم محاربة باسلة ، وليس صحيحا ان الهكسوس لم يجدوا مقاومة من الشعب المصرى لانهم كانوا في ثورة واضطراب من ناحية كما كان فيهم الوباء من ناحية اخرى . فقد اثبتت الوثائق العلمية ان المصريين قاوموا بعنف هجمات الهكسوس ولم يستسلموا الاستمرار في التوغل في وادى النيل بعد ان احتلوا الدلتا ومصر الوسطى حتى ملوى جنوبا وفرضوا الجزية على مناطق الصعيد .

وقد قاد « كاموزة » حملة لطرد الهكسوس من مصر وساح في شعبه قائلا : الا فليعلم اهل طيبة ان كاموزة سينقذ مصر ، لن يرتاح قلبى حتى اخرج الى الاسيوى لاصارعه ، وأبقر بطنه بيدي » ان رغبتى هى تحرير مصر والقضاء على الاسيويين ، سأخرج اليهم بأمر آمون فهو وحده صادق النصيحة .

واستطاع كاموزة ان يحرز الانتصارات الرائعة ضد الهكسوس وذاعت شهرته كما تقول الوثائق كمنقذ لمصر ، واصبح الجميع يرهجون بطشه حتى ان النساء اصبحن لا يحملن واصابهن العقم وانهن كن ينظرن اليه من فوق اسطح المنازل ومن النوافذ كما تفعل سفار الحيوانات المفترسة عندما تنظر الى المارين من مغاراتها ، وقد خرج كاموزة من نصر الى نصر واستولى على مئات من السفن التى كانت تحمل النفائس مثل الذهب والفضة واللازورد .

وقد واصل الاخ الاصغر لكاموزة محاربة الهكسوس بعد اخيه وهو « احموزة » وعلى يديه خرج الهكسوس نهائيا من مصر ، وقد اندفع احموزة على راس جيش كبير الى الشمال وتساقت امامه القلاع والحصون قلعة اثر قلعة وحصنا بعد حصن حتى بلغ « اواريس » وكانت معقل الهكسوس التى يتحصنون بها ويشنون منها غاراتهم على البلاد ، ولم تكد تبدو طلائع جيش احموزة حتى انقذف الرعب في قلوب الهكسوس وولى العدو الادبار ففسارح احموزة بجيشه اللجب الجرار ولحق بالهكسوس عند حصن في

بجنوب فلسطين يطلق عليه « شاروهين » وكان حصناً ذا متعة
عظيمة وقوة جبارة بيد أن هذا لم يصرف احموزة عن مهاجمته
وظل يحاصره ثلاثة أعوام كاملة دون أن يتسرب الوهن الى جيشه
أو يسرى اليأس في قلبه حتى سقط الحصن في يد احموزة
واستطاع أن يقضى قضاء مبرماً على غارات الهكسوس الذين تفرقوا
في أقاليم الشرق وقد أدركهم الرعب ، واستبد بهم الهلع وهم
يجرون أذيال الخيبة والخسران . ولم يطردهم احموزة من مصر
فحسب إنما طردهم من العالم الشرقي بعد أن أعطاهم درساً قاسياً
هنيئاً ، ولم تصرفه الانتصارات الوقتية التي أحرزها عن متابعته
الكفاح ومواصلة الحرب ، كما لم تصده النكسات التي صادفها
بجيشه عن الإصرار على الظفر والانتصار .

الفصل الرابع

من تاريخ أوروبا

ومن يرجع الى تاريخ أوروبا يجد امثلة واضحة جلية تؤكد أن النكسات قد تعقبها الانتصارات وأن الحرب مجموعة من المعارك لا معركة واحدة ، وتاريخ أوروبا القديم والحديث حافل بالنماذج الحية ، وقد عبر السيد الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك حين قال : « أن هناك دولا كبرى تعرضت للسدوان الثاني واكتسحها هتلر في أيام معدودات بيد أن الدائرة لم تلبث أن دارت عليه وخسر الجولة الأخيرة بعد أن كسب الجولة الأولى بانتصارات موقوتة » .

ويقول الرئيس عبد الناصر « احنا مش اول ناس انضربنا » فرنسا انضربت ، انجلترا انضربت ، أمريكا انضربت في بيرل هاربور ، وروسيا الألمان وصلوا لفاية ١٠ كيلو من موسكو ، احنا مش أول ناس خسرنا معركة » .

ويضيف قائلا « الأمريكان انضربوا في بيرل هاربور وهربوا »
والانجليز مشيوا من دنكرك هريئين ، كانوا يطلعون بقوارب الصيد
وفرنسا وقعت في ١٠ ايام الى واقفين ضدنا النهارده ، وهولندة
راحت في يوم وبلجيكا راحت في يوم ، اوربا الغربية كلها راحت
وكلنا نذكر الخطب التي انقالت خطبة تشرشل بعد دنكرك وقال
احنا قوقعة فقدت الغلاف الى يحميها ؟ » .

فالمعروف ان هتلر استطاع ان يحرز انتصارات هائلة في اوربا
بيد ان الدوائر لم تلبث ان دارت عليه ومنى بهزيمة نكراء .

انه في الاثنى عشر عاما التي قضاها هتلر في الحكم لم يحتج على
ما كان يفعل اى حزب سياسى او ناد او جامعة لانه كم الافواه
واخذ النفاس ولم ترفع طائفة من الطوائف عقيرتها عالية محتجة
على الحرب او على المعاملة الوحشية لليهود او على السيطرة التامة
على الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وقد احتج الاساقفة الكاثوليك
ورجال الكنيسة البروتستانتية على تدخل الدولة في شئون
الكنيسة لا على النظام الاجرامى في حد ذاته ، اما تلك الجرائم
الوحشية فقد ارتكبها جنوده الذين اخذت صور بعضهم والسجائر
بين شفاهم المغتررة في ناحية ما من بولندة وهم يستقلون مركبة
يجرها عشرة من الشيوخ اليهود ذوى اللحى الطويلة . والذين
اضربوا بالمدافع الرشاشة الهائمين على وجوههم من النساء
والاطفال في طرق فرنسا عام ١٩٤٠ ، والذين احرقوا « لوتش »
واحالوها رمادا وقتلوا الاهالى جميعا ، والذين خنقوا عشرات
الالوف من الاهالى في سيارات شحن موصدة مختومة ، وذبحوا
هشرات الالوف امام قبور اضطروا ان يحفروها بأنفسهم ؟ !

لقد ارتكب النازيون اموالا في اوربا تشيب منها الولدان بيوتا
ان القدر كان لهم بالمرصاد فدالت دولتهم وسقط كما تسقط
اوراق الخريف . ومن المعارك التي عجمت هود هتلر معركة الرين

كيف تم عبور الرين وفقا لخطة موضوعة ، وفي الجنوب عبره القائد باتون ، أما في الشمال حيث حشد الألمان جموعهم منتظرين فقد شق مونتجومرى طريقه بالدفاع الضخمة والدبابات المائية وبأسطول كبير من الزوارق الصغيرة ، وفي اليوم التالي فاجأ مؤخرة الألمان أعظم جيش حملته الطائرات وقد ملأت طائرات النقل والسباحات أميالا من الجو طبقة فوق طبقة وعلى مدى النظر ، وكان جنود المظلات بهبطون مثل الأوراق المتساقطة ، وانحلت المقاومة الألمانية بعد ذلك وانتهى الدور الحاسم في حرب أوروبا الغربية .

بل ان دهاء هتلر لم ينقذه من الخطة المحكمة التي اتبعها الحلفاء في غزو أوروبا ، فقبل أن يبدأ نزول هذه الجيوش انطلق سرب من الطائرات البريطانية فوق الهافر والقي رجاله عشرات من دمي مصنوعة من خشب تمثل جنود المظلات بمظلاتهم فنزلت تتهاوى في المنطقة التي تحيط بمدينة « فيكاسب » وذهبت طائرات أخرى في نفس الوقت تلقى دمي في منطقة شربورج على يمين البقعة التي تم فيها حقا نزول الجنود الذين حملتهم الطائرات وقدلقى مع الدمي قدر كاف من رقائق الألومنيوم لكي يتوهم المكشرون من رجال الرادار الألماني أن الهجوم بالمظلات أعظم مما يلوح عشرين ضعفا .

وإن التاريخ ليسجل ذلك اليوم المشهود الذي ضربت فيه ميناء بيرل هاربور بالقنابل في صورة رهيبة . ولكن ذلك لم يكن نقطة حاسمة في توجيه الحرب واجتلاب الهزيمة ، وقد ضرب الأسطول الأمريكي في بيرل هاربور ضربات قوية فتاكة في ٧ ديسمبر عام ١٩٤١ وكانت الطائرات الأمريكية محشودة في المطارات فسهل قذفها كما كانت بوارج الأسطول تقريبا في الميناء . وقد أغارت الطائرات اليابانية على الميناء من وراء السحب فوق جبال كولاو التي يبلغ ارتفاعها ٢٨٠٠ قدم في وقت مناسب للهجوم اذ تستطيع الطائرات في مثل هذا الوقت من السنة أن تدنو محتجة بالسحب

الماطرة المتلبدة ثم تبرز فجأة في الجو الصافي فوق بيرل هاربور قبل ان تتمكن الطائرات المدافعة من التحليق في الجو لمقابلتها .
وقد أحدثت تلك الغازات دمارا هائلا في بيرل هاربور لا يزال الأمريكيون يرددون انباءه حتى اليوم .

وهناك معركة دنكرك التاريخية التي اشار اليها السيد الرئيس في خطابه يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٦٧ والتي انقضت فيها قاذفات القنابل الألمانية من طراز (شتوك) المزودة بصفارات مزعجة رهيبة على المدينة الآمنة في صورة مروحة منتشرة الاجنحة تحيط بالميناء من دنكرك ولابان ، لمسافة اكثر من ١٤ كيلو مترا كما ألقت القنابل على السفن الراسية في الميناء ، فتركت البحارة يسبحون في خضم من الزيت والدماء والماء ، وامتدت اليها السنة اللهب فخرج الجنود مجردين من ملابسهم في حالة شديدة من الرعب والفزع تتفتت منها الأكباد ، واخذوا يتلمسون الفرار ، وبلغ عدد القتلى والجرحى نحو ٦٨ ألف جندي خلال الانسحاب من مجموع الجيش البالغ ٣٩٠ ألف جندي .

وخسرت بريطانيا في هذه المعركة اكثر من ٢٠٠ سفينة ، ١٧٧ طائرة ، ولكن هذا كله لم يشن الشعب البريطاني عن مواصلة الكفاح في تلك الآونة الخطيرة وعقد العزم على العمل وبدل العرق والدموع حتى النصر الأخير .

فالأمثلة اذن كثيرة في التاريخ العربي والتاريخ الأوربي ، والأمثلة كثيرة من الانتصار والخصوم ، ومن الأصدقاء والأعداء . فالحرب ليست معركة واحدة وليست مواجهة وحيدة ، انما الحرب سلسلة متصلة من المعارك حتى نغمر صوت الحق ويرتفع صوت الانتصار في المعركة فوق كل صوت !

الباب الرابع

لكي نسقط الحمامة

الفصل الأول

إعادة البناء العام

لكي نستقط الحماة ونحيط خطتها لا بد أن نتخذ خطوات صادقة، أمينة في هذا الصدد ونعيد بناء كياناتنا العسكرية والسياسي والاقتصادي، ونتلافى أخطاء الماضي، ونؤمن أن صوت المعركة فوق كل صوت. ونحشد كل قوانا العسكرية والاقتصادية والفكرية على خطوطنا مع العدو لتحرير الأرض وتحقيق النصر، وتمهئة كل جماهيرنا بما لها من إمكانيات وطاقات كامنة من أجل التحرير والنصر، ومن أجل آمال ما بعد التحرير والنصر.

وفي هذا يقول الرئيس جمال عبد الناصر في بيان ٣٠ مارس :
« ان المعركة لها الأولوية على كل ما عداها . وفي سبيلها . . وعلى طريق النصر فيها يهون كل شيء ويرخص كل بذل ، مالا كان أو جهدا ، أو دما ، ومهما كان السبيل الذي نسلكه الى تحرير

الأرض وتحقيق النصر فإنه يصبح سبيلا مسدودا بغير استعداد
للمعركة » .

وقد استطعنا - والله الحمد - تعويض الأسلحة التي فقدناها في
المعركة وقررنا انشاء وحدات جديدة في الجيش حتى تقابل قوة
اسرائيل وجها لوجه ، ولا تكون قوة اسرائيل متفوقة علينا في البر
أو في الجو .

ولقد كنا عام ١٩٥٥ نملك مالا لشراء الأسلحة غير أن العرب
رفض أن يمدنا بالسلاح ولكن الاتحاد السوفيتى اليوم يمدنا
بالسلاح دون مقابل ودون شروط ودون أى لون من ألوان الضغوط
أو الاكراه .

فاعادة بنائنا العسكرى شىء ضرورى بالنسبة الينا ، غير أن
المسألة لا تقف عند الأسلحة والمعدات ، والدبابات والطائرات ،
ومنصر التكنولوجيا الذى لا يمكن تغافل اثره أو تجاهل خطره ،
انما لا بد من تدريب أبناء الجيش تدريباً سليماً على هذه الأسلحة ،
وبث الروح المعنوية العالية في الجيش ، وهذا ما حدث فعلاً فان
أبناء القوات المسلحة اليوم يقومون بدورهم في التدريب على أحسن
وجه ، وكلهم يؤمن بأن من واجبه المقدس الدفاع عن وطنه حتى
آخر قطرة من الدماء ونسمة من الانفاس .

وأبناء القوات المسلحة اليوم قد عرفوا واجبهم حق المعرفة وهم
يأتشفون حول الرئيس عبد الناصر من كل جانب ويؤيدونه في
سياسته .

ان البناء العسكرى ضرورة قضوى من ضرورات المعركة ،
ولا ينبغي أن تكون صورة النكسة هى الصورة الماثلة دائماً في
أذهاننا ، فان هذه الصورة على حد تعبير الأستاذ الصحفى الكبير
محمد حسنين هيكل تكاد أن تكون صورة لموقف معين وغير سلائم
وجدت فيه الأمة العربية نفسها في وقت من الاوقات ، والصورة

الفوتوغرافية في حقيقتها هي عدسة التصوير تمسك بلحظة من الزمان وتجمدها ، أى أن الصورة ليست هي الحياة وحركة من حركاتها ، والصورة بعين ذلك تبقى ضمن الذكريات - الحلو أو المرة - لكن الحياة لا تتقيد بها ولا تظل الى الأبد جامدة عند حركتها العابرة .

وقد ذكر القائد العسكري البريطاني الشهير المارشال مونتجمري في حديث له : لكى تستطيع أى دولة أن تحقق انتصارا عسكريا حاسما على أى دولة أخرى في هذا العصر الذى نعيش فيه فإنه لا بد من ثلاثة شروط :

— هدف مرغوب في تحقيقه سياسيا .

— ممكن تنفيذه عسكريا .

— سهل تبريره معنويا عالميا .

وبالنسبة الى العرب فهناك هدف مرغوب في تحقيقه سياسيا ولا بد أن يكون هذا الهدف ممكن التنفيذ عسكريا ، وهذا ما عملنا عليه وسعينا في سبيله وقمنا بإعادة بنائها العسكري من جديد ، ومواجهة الخصم في قوة وعزم وإصرار ، وهذا الهدف ما يمكن أن نقوم بتبريره معنويا ، ونجشد جميع طاقاتنا الاعلامية في سبيل ذلك . كما نفتح الدوائر العالمية والمجتمعات الدولية بعدالة قضيتنا وقوة حقنا . ويجب أن تؤمن بأن المنطقة العربية التى احتلها العدو أكبر من طاقته فى أن يمد نفوذه عليها وأوسع من سلطانه لكى يستمر البقاء فيها ، فإن القوة العسكرية مهما ارتفع شأنها وقوى ساعدها لا تستطيع أن تعتمد الى صيانة مطامعها دائما بقوة السلاح . فقد هجرت الولايات المتحدة الأمريكية عن حصار الصين بل لقد هجرت من أن ترد هارات الفيتناميين المتواصلة ، ولم تستطع الوصول الى حل سريع لانقاذ زهرة شبابها من التردى في مهالك الفيتناميين رغم تلك الأصوات المرتفعة الصادرة من آلاف الأسرى

الأمريكية ورغم تلك المظاهرات الصاخبة ، والمسيرات الففيرة للشعب
الأمريكي لوقف حرب فيتنام ١٤

ولم يستطع ٢٠٠ مليون أمريكي مهما كان لهم من عدة وسلاح
أن يفرضوا إرادتهم على ٨٠٠ مليون صيني ، كما لم يستطع أكثر
من مليون جندي أمريكي من قهر ١٦ مليون فيتنامي في الجنوب .

فإن الكتلة البشرية الهائلة لهذه الشعوب لم تستطع الأسلحة
الفتاكة أن تجبرها على الخضوع كما لم تستطع الغارات المدمرة أن
تدفعها إلى الاستسلام .

وبنفس المنطق العسكري نستطيع أن نقول أن مليوني
إسرائيلي لا يستطيعون هزيمة ٨٠ مليون عربي ١٤

ولكن هذا لا يدفعنا إلى الفرور والكبرياء فالروح المعنوية
العالية واجبة من أجل تحقيق النصر .

وقد قسم « كلاوزفتر » الروح المعنوية في الجيش إلى الفصيلة
العسكرية للجيش والشعور القومي وكفاية القائد .

والفصيلة العسكرية تأتي من المعارك العديدة الظافرة ، والقيادة
الماهرة لا تزعمها عواصف الهزيمة أو يشبطها سوء الحظ .

والشعور القومي هو الإيمان الذي يخالط الجند ، وهو ما عبر
عنه العلامة « فون درجولنز » بأن لا تقهر الخصم بتدمير وجوده فقط
وإنما بإبادة آماله في الانتصار ، أو بما عبر عنه القائد « بسمارك »
حينما رأى بقعة من الدهن على فطاء المائدة فقال لأصحابه : كما
تنتشر هذه البقعة في النسيج شيئاً فشيئاً ، كذلك ينفذ الشعمور
بإستحسان الموت في سبيل الدفاع عن الوطن .

فالروح المعنوية أمر ضروري بالنسبة إلى البناء العسكري
والكيان الحربي وحينئذ نستطيع أن نجعل العمل الذي نقوم به

عملا مسئولا . . ونقدم على المعركة والعمل الذى تقدم عليه يكون مسئولا .

وهذه حقيقة ثابتة يجب أن نضعها نصب أعيننا اذا ما اردنا احباط خطة الحمامة بخدافيرها ، ونقضى عليها قضاء مبرما .

واذا ما تحدثنا عن الكيان العسكرى فيجب ان نتحدث عن الكيان السياسى ، وغير خاف ان العدو كان يستهدف الكيان الداخلى فى حرب يونيو ، وكان يريد ان يززع كيان الجبهة الداخلية من اجل تحقيق اهدافه وتنفيذ خطة الحمامة فى العدوان على العرب ولكن زحف الجماهير الجارف يومى ٩ ، ١٠ يونيو اكد ان الاستعمار قد فشل فى خطته وان الشعب العربى قد التف حول قائده التفاف السوار بالمعصم ، ولم يشأ ان يفرط فيه قيد شعرة % ولقد قمنا على اثر ذلك بوضع برنامج ٣٠ مارس واجرينا انتخابات الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة على مختلف المستويات دون ضغط او اكراه ودون اى لون من الوان القيود او الايثار .

ولقد كان لا بد لنا ان نفرق بين مصر الثورة ومصر الدولة حتى لا يختلط الامر فلا نستطيع ان ندرك اخطاءنا ، وننبين اغلاطنا .

نعم كان لا بد لنا ان نفرق بين مصر الثورة ومصر الدولة وهذا ما حدث فى انتخاب الاتحاد الاشتراكى حيث ظهرت القيادات الشعبية الجديدة جنبا الى جنب مع الوزراء وكبار المسئولين .

وهنا يجب ان نشير الى دور التعبئة الروحية الى جانب التعبئة العسكرية واعنى بها تعبئة الشباب بالمثل الرفيعة والقيم الفاضلة حتى لا يفقد مبادئه ويشعر انه يسير فى مآهات مظلمة وطرق ملتوية مسدودة ، ومسارب مجهولة فى سبيل الحياة ، وأن التعبئة الروحية ضرورية بجانب التعبئة العسكرية حتى تستطيع

القدرات الخلافة من الشباب أن تصل إلى أعلى مراتب السمو وأسمى درجات الكمال .

ولقد كان الشباب في الآونة الأخيرة يشعر بتمزق شديد ،
أقضاء بيان ٣٠ مارس وأكد ضرورة الاهتمام بالشباب والعمل على
تدعيم القيم الروحية والخلقية وإتاحة الفرصة أمام الشباب
للتجربة .

وكل هذه وسائل تعيد الثقة في الشباب وتدعم البنيان القومي
وتهيب لنا مواجهة الخصم في قوة وثبات ، وتنفيذ خططنا لاسقاط
الحماية في حبكة واحكام . وتكوين الدولة العصرية التي نأدينها بها
ينادى معاني هذه الكلمة وأوسع مدلولات هذا اللفظ والدولة التي
تؤمن بالعلم وتستطيع أن تورد الحياة إلى هذا الشعب الأصيل
ليسترد أنفاسه اللاهثة بعد النكسة .

الفصل الثانى

عروبتنا أولاً

لكى نسقط الجمامة ونجبط خطتها يجب ان نتمسك بعروبتنا ونؤمن بان هذه الوشيعة عروة وثقى نستطيع ان نقتحم بها الاموال وننتصر على اعدائنا ونخطى بها كل الحواجز والعقبات ، ومن اجل ذلك يجب ان نصفى خلافتنا ، ونؤمن بالعمل الواحد المشترك . فان ما يطمع اليه العدو المتربص بنا ان يفرف وحدتنا ، ويشتت كلمتنا ، ويفرق صفوفنا .

وعندما نقول ان مصر قطعة من الوطن العربى الكبير لا نقول ذلك على سبيل المجاملة ، ولا نقول ذلك من اجل التقرب او التحجب ولا نقول ذلك ايضا من قبيل الرسميات حيث اقترح برنامج ٢٠ مارس النص على عروبة مصر فى دستورها المقبل ، انما نقول ذلك على سبيل التاكيد التاريخى والبحث العلمى السليم . ويكفى ان نرجع الى تاريخ الفتح العربى على يد عمرو بن العاص لتظهر لنا هذه الحقيقة جلية واشحة للعيان .

ويقول ابو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغانى ان بعض بطون خزاعة خرجوا من الجاهلية الى مصر والشام لان قحطا شديدا وجدبا عظيما حل بالجزيرة العربية ، وعندما غزا الفرس مصر وجهزوا حملة قوية لفتح البلاد اشترك في هذه الحملة عدد كبير من العرب عام ٦١٦ م .

ويقول الاستاذ ميلن في كتابه « مصر تحت حكم الرومان » ان جيش الفرس كان مكونا من عدد كبير من القوات العربية ، فلم يلقوا مشقة في حكم مصر اذ ان عددا كبيرا من اثرياء البلاد كانوا ينتمون بصلة القربى الى العرب الفاتحين .

وفي عهد عمر بن الخطاب انتقلت بعض قبائل غسان برئاسة ابي نور بن عامر بن صعصعة الى مصر ، ومنحهم حاكم مصر منطقة من اخصب المناطق لاستيطانها وهي منطقة « تنيس » .

واشترك في الفتح العربى عدد من القبائل العربية من قريش والانصار ومزينة وخزاعة واشجع وجهينة وثقيف ودوس وليث وعرفوا في مصر باسم اهل الراية اما قبيلة همدان فانها آتست الى منطقة الجزيرة فألقت رحالها بين جنباتها ، وحاول القائد العربى عمرو بن العاص ان يغرى قبيلة همدان الوافدة باستيطان القسطنطينية لتدعيم كيانه وجعلها مصدرا للسلطة ومركزا للقوى ، بيد ان همدان رفضت ان تنتقل من الجزيرة فاضطر عمرو بن العاص الى مخاطبة الخليفة في شأنهم فنصححه ببناء حصن في الجزيرة .

وسكن بنو عقبة وهم قبيلة من جدام ما بين ايلة وحوف مصر كما يقول المقرئى في البيان والاعراب كما توجه قوم من جدام ولخم الى الاسكندرية .

ويقول المقرئى في كتابه « البيان والاعراب » : « وجهينة اكثر حرب مصر وهؤلاء كانوا يسكنون حول اسيوط ، وما بعدها وفي الفيوم نزل بنو كلاب ومن منية غمر الى زفيتا سكن سعود جدام واكثرهم مشايخ البلاد وخفراؤها ولهم مزارع ، وانتقلت طوائف

من فرارة الى الغربية وقلوب ، وفي الدقهلية سكن عرب ينتسبون الى قريش وسكن حول تنيس ودمياط قوم ينتسبون الى نصر بن معاوية وهم من هوازن وكان لهم شوكة شديدة بأرض مصر » .

فالحقائق التاريخية اذن تثبت عروبة مصر ، التي لا يرقى اليها الشك ، ولا تتطرق اليها الريبة . ولكن الامر لا يقف عند حد « الجنس البشرى » وتوزيع القبائل العربية ، وتقسيم الجغرافيا الجنسية انما هناك تاريخ مشترك ، ولغة مشتركة هي لغة القرآن الكريم الذي لا ياتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهناك الكفاح المشترك والنضال المتصل الذي اشتركت فيه الامم العربية جميعا ضد قوى الاستعمار ، فان اعتمادنا في الدفاع عن انفسنا على غيرنا من الأتراك العثمانيين او سواهم ادى الى السيطرة الأجنبية والى ضياع استقلالنا ، كما ان تدخل فرنسا عام ١٨٣٠ في الجزائر كان لمساعدة فرنسا ضد محمد على ، وكان قبول محمد على واتفاقه مع فرنسا على قيام هذا الاحتلال لنفس الاسباب في المساعدة ضد الباب العالي ، اما قبول السلطان العثماني احتلال الانجليز لعدن عام ١٨٣٩ فانما كان ثمنا لمعاهدة لندن عام ١٨٤٠ التي ردت القوة المصرية التي داخل الديار المصرية كما دخل الاستعمار الغربى الى الشرق العربى على زعم حماية العرب واستخلاص استقلالهم من قبضة العثمانيين حتى ضاع استقلال العرب وقسمت بلادهم طبقا لاتفاقية « سايكس بيكو » بين فرنسا وانجلترا عام ١٩١٦ .

ومن هنا فان التمسك بعروبتنا هو الخلاص لنا من كل سيطرة اجنبية ، فلا يستطيع دخيل أن يمرق الى صفوفنا ، ولا يستطيع خائن أن يقترب من صفوفنا ولا نتيج اي فرصة لتسرب الاستعمار الى ديارنا .

وحينئذ يشتد ساعدنا ونستطيع ان نصمد امام اعدائنا ونحبط خطة الحمامة التي لا بد أن تهوى الى الأرض لا حراك بها .

الفصل الثالث

مواجهة الضغوط الاقتصادية

ومن أجل احباط خطة الجمامة ايضا لا بد لنا من مواجهة الضغوط الاقتصادية عليها في ذوة وثبات ، وتحويل اقتصادنا الى اقتصاد حرب ، وتحمل ميزانية الطوارئ بصدر رحب ونفس راضية مرضية ، وسد النقص الذي نحسه في العملة الصعبة عن ضغط الاستيراد والاكتفاء بالضرورات القصوى وضغط مصروفات الدولة والتوسع في زيادة الانتاج وتحسينه للتصدير وتوسيع هيكل التجارة الخارجية ، وتحقيق التكافل الاقتصادي بين البلاد العربية واستخدام البترول العربي كسلاح ايجابي في المعركة والاستفادة من عائداته في المشروعات الكبرى ، وتكوين احتياطي من النقد الاجنبي يسمح لنا بحرية الحركة ومواجهة كافة الضغوط المحتملة والحصار الاقتصادي وتكوين احتياطي غير عادي من المواد التموينية وتقليل وضغط المصروفات الحكومية الى ابعد مدى ، واعداد الجماهير لتقبل صنوف التضحية من أجل بناء المرحلة

القادمة ، وتأجيل الانفاق في الخدمات ، والالتزام بالصناعات الاستوائية الجيدة . الضرورية للبناء الخري .
وكل هذه الاجراءات لا مفر منها . ولا مندوحة عنها لمواجهة
الخسائر التي ادركت ميراثيتها . والتي حددها المسؤولون ومنها
ايرادات قناة السويس ، وايرادات السياحة ، والخسائر في الثروة
العينية في سيناء من بترول وفحم ومينجيز ، فضلا ان عمليات
تهجير الاهالي كلفت الدولة وزادت الانفاق من اجل مقابلة اغراض
الدفاع القومي .

ولاشك ان كل الخطوات لو تمت استطعنا الصمود ازاء اعدائنا
وبالتالي استطعنا ان ننفذ خطتنا في اسقاط الحماية وتدمير تلك
الخطوة السرية في الاعتداء على العرب .

ولقد اثبت الشعب العربي في مصر انه قادر على تحمل كثير
من الازمات في مناسبات مختلفة ، ومن ذلك انه استطاع مواجهة
عمليات الاستعمار لتجويع الشعب المصري وعدم تصدير صفقة
القمح له ، كما واجه عمليات سحب مشروع السد العالي ، ولكن
القيادة الرشيدة استطاعت ان تخرج من هذه الازمات قوية ثابتة ،
ولم تنجح محاولات الاستعمار في حرب التجويع ، فان اتفاقية القمح
التي بمقتضاها تبيع الولايات المتحدة لنا قمحا قيمته السنوية
مستون مليون من الجنيهات ندفعها بالعملة المحلية كانت مدتها ثلاث
سنوات تنتهي في عام ١٩٦٥ وفي اواخر عام ١٩٦٥ جددت هذه
الاتفاقية ستة اشهر وتقدمنا في فبراير عام ١٩٦٦ بطلب تجديدها
لضمان الحصول على القمح لستة اشهر اخرى ولكننا لم نتلق ردا مما
يجعل مصر تعلن انها تعتبرها ملغاة .

واستطعنا ان نخرج من الورطة ، ومرت الازمة بسلام ، ولم
تسمر في يوم من الايام اننا لم نجد رغيف الخبز .

وهذه المحن مر بها الشعب العربي على طول المدى بل لقد
حدثت عدة مجاعات في تاريخ مصر بيد انها استطاعت التغلب عليها

ومن ذلك ما حدث في عهد كافور (٣٣٤ - ٣٥٧ هـ) حيث انخفض ماء النيل واشتد القحط ، وانتشر الوباء ، ونذر القمح ، وكذلك في عهد الخليفة المنتصر لدين الله الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) وتعرف الشدة التي امتحنت بها مصر في تلك الآونة « بالشدة المستنصرية » فندرت الغلال وعز القوت وزاد القحط ، وانتشرت هذه المحنة سبع سنوات وزادت في عامي ٤٥٩ - ٤٦٠ هـ وظل الأمر على ذلك حتى وفر بدر الدين الجمالي للشعب الطعام والكساء .

وفي عهد السلطان العادل « كتبغا » عام ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) توقف النيل ونقص نقصا كبيرا وفات على الفلاحين أوان الزرع وندرت المحاصيل وزاد الحافة شدة أن ريحا سوداء مظلمة هبت على مصر من بلاد برقة حاملة ترابا أصفر كسا الزرع وهمت تلك الريح أقاليم البحيرة والشرقية والغربية وفقدت المروعات الصيفية كالأرز والسمسم والقلقاس وقصب السكر .

وكان الشعب يواجه الأزمات بروح سليمة لا تصنعها الأحداث وتعاون الشعب مع الدولة في رد غائلة هذه الأزمات . وفي عهد الخليفة الناصر محمد أمر نجم الدين محمد بن حسين محتسب القاهرة وعلاء الدين علي بن المرواني وإلى القاهرة بالطواف معا على الطواحين والغيازين وأمر السلطان أن ترسل الغلال إلى مصر من دمشق وغزة والكرك والشوبك وأمر ألا يباع الأردب من القمح بأكثر من ثلاثين درهما وطلب إلى الأمراء عدم مخالفة ذلك والتشدد مع المخالفين . حتى قيل أنه عاقب سمساري الأميرين « قوصون » و « بشتاك » بالضرب المبرح لبيعهما الخبز بأكثر من السعر الذي حدده ، وكانت نتيجة ذلك أن خفت حدة المحنة « واستطاع الشعب أن يجد قوته في سهولة ويسر ودون جهد أو عناء . ويسير معقول

ويقول المقرئ في كتاب السلوك ج ٢ ص ٤٤٦ « وطلب الناصر الأمير « قوصون » بحضرة الأمراء وصرخ عليه : ويلك ! أنت تريد أن تخرب علي مصر وتخالف مرسومي . وسبه ولعنه ، وشهر عليه

السيف ، وضربه على رأسه واكتأفه وصاح : هاتوا استادرة « أى قابض المال بالفارسية » فتسارع النقباء لاحتضاره ، ومن شدة غضب السلطان صار يقوم ويقعد ويقول « هاتوا استادرة » حتى خرج امير مسعود الحاجب الى باب القلعة ، وارتجت القلعة بأسرها وخاف الامراء كلهم لشدة ما راوه من غضب السلطان ، ثم حضر قطلو استادرة قوصون فامر بضربه بالمقارع ، ثم أمر به فبطح بين يديه وضرب ، فلم يتجاسر من بعدها احد من الامراء ان يفتح شؤنته الا بامر المحتسب . »

وهكذا استطاع المصريون ان يواجهوا المحن الاقتصادية التي مرت بهم بثبات وشجاعة ، وضربوا على ايدي العابثين المضللين ، والايدي الخفية والظاهرة التي تعيث باقوات الشعب ، وكان لهم من رؤسائهم والسلف الصالح اسوة حسنة ، فقد روى عن اسلم قال : اصعب الناس سنة فلا فيها السمن فكان عمر بن الخطاب وضوان الله عليه ياكل الزيت فيقرقر بطنه فيقول « قرقر ما شئت فوالله لا تاكل السمن حتى ياكله الناس » .

ثم قال : اكسر عنى حره بالنار فكنت اطبخه له فيأكله .

ومن انس قال تقرقر بطن عمر عام الرمادة فكان ياكل الزيت وكان قد حرم على نفسه السمن فقال : فنقر بطنه باصبعيه وقال تقرقرانه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس ؟ !

وعن الحسن رحمه الله قال : خطب عمر في الناس وهو خليفة وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة . . ومن انس قال نظرت في قميص عمر رضى الله عنه فاذا بين كتفيه اربع رقاع لا يشبه بعضها بعضا . ومن نافع قال سمعت ابن عمر يقول : والله والله ما شمل النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ولا خارج بيته ثلاثة اثواب ، ولا شمل ابو بكر في بيته ثلاثة اثواب ، غير انى كنت ارى كساهم اذا احرموا ، كان لكل واحد منهم مثزر ومشمتم لعلها كلها يثمن درع احديكم .

والله لقد رايت النبی صلی الله علیه وسلم یرقع ثوبه ، ورايت ابا بكر یخلل بالعباء ، ورايت عمر رضوان الله علیه یرقع جيبته من ادم وهو امیر المؤمنین .

هكذا كان یفعل السلف الصالح وهكذا كانوا یواجهون صروف الحیة ، ونحن بطبیعة الحال لا نطلب من الشعب المصری لکی یسقط الحمامة أو یحدو حدو فعال السلف الصالح فی رتق الثیاب وترقیمها ، فقد یكون هذا فی العصر الحدیث من قبیل السخریة والدعابة ، ولكننا یجب ان نعلن انه لو حتمت الظروف علینا مثل هذا العمل فقد كان شرفا کبیرا بالنسبة الی النبی والخلفاء الراشدين .

ولقد كان ونستون تشرشل رئیس الوزراء البریطانی الاسبق یعلن اثناء الحرب العالمیة الاخیرة عن استعداد الشعب البریطانی الی ارتداء المهلhel من الثیاب من أجل احراز النصر ، ولم یکن یجد فضاضة فی اعلان ذلك علی جماهير الشعب الانجلیزی الذی كان ینصت لحدیث تشرشل وكان علی راسه الطیر .

وبطبیعة الحال لم یقرأ تشرشل شیئا عما كان یفعله النبی صلی الله علیه وسلم وخلفاؤه الراشدون بید انه اعلن فی صراحة ذلك دون حرج .

ونحن والله الحمد لدیننا من الامکانیات والموارد الاقتصادیة ما یکفینا ویجعلنا صامدین ازاء العدو شهورا بل سنوات ، واذا ما آمنا بهذه الحقیقة الثابتة وخالجت قلوبنا ، فان النصر لابد ان یوائینا ولا بد ان نحبط خطة الحمامة راسا علی عقب ویعلم الذین ظلموا ای منقلب ینقلبون .

ویکفی ان نقول ان بایدینا سلاح البترول العربی وهو احسن الاسلحة فی الاقتصاد العالمی سواء فی الحرب أم السلم لما له من اهمیة من ناحية الاحتیاطی والانتاج ، فلاحتیاطی فی البلاد العربیة من البترول قد بلغ ۲۱۸۹۲۶۵۰۰ برمیل ینما بلغ الاحتیاطی العالمی

٣٧٢.٥٠٠ برميل وذلك بالنسبة لعام ١٩٦٦ ومعنى ذلك أن البلاد العربية تحوى في أرضها الطيبة ٥٦٢٧ ٪ من الاحتياطي العالمى لهذه المادة الحيوية ، أما انتاج البلاد العربية فلقد بلغ في العام المذكور ٩٤١٦.٠٠٠ برميل في اليوم بينما بلغ انتاج العالم في نفس العام ٣٢٧.٨٦٠.٠ برميل في اليوم أى ان الانتاج العربى يمثل ٥٨٨ ٪ من الانتاج العالمى .

فإذا أضفنا الى ذلك انخفاض تكاليف الانتاج في البلاد العربية بالنسبة الى تكاليف الانتاج في البلدان الأخرى اتضحت أماننا أهمية البترول العربى ، وذلك بسبب ارتفاع معدل انتاج البئر الواحدة من البترول في البلاد العربية وعدم وجود آبار جافة كثيرة في البلاد العربية بالإضافة الى وفرة الأيدي العاملة ورخصها وارتفاع تكاليفها في العالم الغربى ، وازدياد مقدرة البلاد العربية على التصدير الزيادة الانتاج المطرد فيها في الوقت الذى تعجز فيه مناطق الانتاج الأخرى عن تسويق انتاجها لحاجتها اليه ، وتوفر زيت الوقود بنسبة كبيرة في بترول الشرق الأوسط بعكس الحال في خامات النصف الغربى من العالم الذى لا يحتوى الا على نسبة ضئيلة من هذا الزيت. مما جعل معامل التكرير في أوروبا تعتمد على البترول العربى لاحتوائه على نسبة ضئيلة من الأملاح . وهذه الصفة تهدم أى منافسة للبترول العربى .

وقد قرر مؤتمر الخرطوم في أغسطس عام ١٩٦٧ الاستمرار في ضخ البترول ولاشك أن الاستفادة بعائده لها اثر كبير في تدعيم الكيان الاقتصادى للبلاد ، فضلا عن الآبار الجديدة للبترول التى اكتشفت في الدلتا وفي الصحراء الغربية ومن المنتظر أن تقوم بدور كبير في الاقتصاد المصرى .

فمن هنا كان علينا أن نطمئن ونستقر نفوسنا ونقر عيوننا ، ونستعد لمواجهة كل التحديات الممكنة واثنا لقادرون بمشيئة الله تعالى على تحطيم خطة الحماة حتى نهوى بها الى الحضيض .

الفصل الرابع

الجهود الاعلامية

عندما حضر السيد عبد الماجد أبو حسبو وزير الاعلام السوداني الى القاهرة عقب النكسة تحدث في راديو صوت العرب من القاهرة وقال اننا قد هزمنا اعلاميا قبل ان نهزم عسكريا .

وقد صدق السيد عبد الماجد أبو حسبو في هذا الحديث ، فلم يعد الاعلام اليوم يعنى الاصوات العالية ولا الحناجر المدوية ، ولا العصبية الطاغية ، ولا الالفاظ الطنانة الرنانة انما الاعلام أولا وقبل كل شيء علم له اصوله وقواعده وله مبرراته واتجاهاته ، وقد استطاعت اسرائيل ان تغلب الحقيقة في كثير من الدوائر العربية حتى خرجت بعض الصحف العالمية تتهم الجمهورية العربية المتحدة بأنها هي التى بدأت العدوان ، واطلقت الرصاصة الأولى في المعركة . ولاشك ان هذا افتراء كاذب ولكننا يجب الا نتقف عند هذا الحد من الحديث انما نقول انه كان من الواجب علينا ان نواجه مثل

هذه الدعاوى الكاذبة بسبيل عارم من الاعلام السليم حتى لا تتمكن اسرائيل من تسميم جذور التفكير الغربى .

وقد ضرب الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل مثلاً حياً من حرب فيتنام فى تأثيرها على الراى العام العالمى على امتداد آسيا وافريقيا ، فان الثورة الفيتنامية لم تكن تطلب من اصدقائها الاشياء واحدا .

— لا نريد اسلحة ، ولا ادوية ولا تبرعات ، كل ما نريده هو ان نتكلموا عن قضيتنا فى الصحف وفى الاذاعات وفى المؤتمرات الشعبية وتكلموا باستمرار وهذا كل ما نريد .

ويضيف هيكل قائلاً : اننا لم نستطع حتى الآن ان نرسم تصويراً لقضيتنا يمكن تقديمه الى العالم الخارجى البعيد ، ولم نستطع ان نحمل هذا التصوير الى العالم الخارجى البعيد بلغة مقبولة خصوصاً لدى جماعات المثقفين الذين يتولون الآن قيادة حملة الضمير من اجل فيتنام فى كل مكان حتى البيت الابيض الأمريكى نفسه ١٤

وفى حدائق ماديسون سومير فى الولايات المتحدة الأمريكية اقامت جماعة الفداء اليهودى المتحدة حفلة انيقة فى ليلة ١١ يونيو عام ١٩٦٧ عقب العدوان الاسرائيلى فى ٥ يونيو من نفس السنة وتم الاكتتاب فى هذا الحفل لصالح اسرائيل واستطاعت الجماعة جمع مائتى دولار فى الليلة ، ومما يذكر ان هذا الحفل حضره ليفى كبير من نجوم الشاشة البيضاء فى الولايات المتحدة الأمريكية منهم كلير بلوم ، وكيرك دوجلاس ، وملنيا ميركورى ، وشيللى وينترل وغيرهم .

ويقوم « الهستدروت » وهو الاتحاد العام للعمال فى اسرائيل بدور كبير فى نشر الدعاية الصهيونية وتقدم جائزة سنوية كبيرة للأشخاص المرموقين فى المجتمع الذين يعطفون على اسرائيل

ويؤيدون الحركة الصهيونية ولا بضنون بجهد في سبيل تدعيمها وتقويتها وقد منحت هيئة « الهستدروت » عددا كبيرا من اقطاب السياسة في الولايات المتحدة الامريكية مجموعة من الجوائز ومن الذين ظفروا بجوائز الهستدروت الرئيس السابق هارى ترومان وباركلى نائب رئيس الجمهورية السابق ، وجورج ميتى رئيس اتحاد العمال الامريكى ، ووليم دولار القاضى بالمحكمة الفيدرالية العليا .

وذكر بن جوريون ، الصهيونى العجوز في احد تقاريره الى الحكومة ان اسرائيل استطاعت اخيرا ان تجذب بعض زعماء آسيا وافريقيا من الفلبين وكمبوديا وبورما ونيبال والهند ، ونيجيريا ، وغانا ، ومن تنجانيقا وكينيا ، ومن الكونغو وتشاد وساحل العاج ، ومن دول اخرى لدراسة النظم التعاونية والمستنمرات الزراعية والتنظيمات العسكرية والمشروعات الانشائية والحركة العمالية والمؤسسات العلمية .

ويكفى ان نذكر على سبيل المثال لا الحصر لائبات التفافل الصهيونى في قارة افريقيا ان اسرائيل انشأت في غانا مدرسة للطيران لجميع مدرسيها من الطيارين الاسرائيليين ويدرب الضباط الاسرائيليون القوات الجوية الفانية في معسكر « جيفارو » وهو قاعدة جوية بالقرب من اكرا .

وفي ليبيريا انشأت خطا ملاحيا بين حيفا وموتروفا كما انشأت اضمخم وافخم فندق موجود في المدينة ومعهدا طبيا لعلاج امراض العيون ، كما انشأت في نيجيريا شركة اسرائيلية نيجيريه للقيام باعمال الانشاء والتعمير ساهمت فيها اسرائيل باربعين في المائة من راس مالها وشركة اخرى لاستغلال مصادر المياه ، اما في اثيوبيا فقد انشأت اسرائيل مصنعا لتعبئة البرتقال الاسرائيلى في اسمره وشركة للاغذية المحفوظة واستخدمت ست بواخر بين مصوع وابلات وانشأت شركة اثيوبية زراعية لاستصلاح الاراضى وزرعها بالحبوب

والقطن اللّازمين لاسرائيل ، وأوفدت بعض أسانذتها للتدريس في الكلية التكنولوجية .

وهدف اسرائيل من تحسين علاقاتها بآثيوبيا هو التطفل في أرجاء افريقيا عن طريقها وهو مقصد رئيسي بالنسبة لها . اذ تجد في اسواق افريقيا منطقة خصيبة لتصريف منتجاتها وتحسين اقتصادها الذي الحق به الحصار الاقتصادي أشد الضرر فضلا عما أحدثه اغلاق قناة السويس في وجه البواخر الاسرائيلية من خسارة جسيمة لها .

وفي ميدان الاعلام الصهيونى والدعاية الصهيونية شملت اسرائيل حربها على العرب دون هوادة وهناك شبكة من الصحف الاسرائيلية التى تصدر في اوربا وامريكا تذكر سنيا على سبيل الذكر لا الحصر جريدة « لانفور ماسيون دى لجانس دى برس جويف » ونوفل جويف مونديال ، وجورنال دى لاكومونثيه ، وتيرتيروفيه . اما في انجلترا ففيها جويش كرونكل نيوز سيرفس ، وذى جويش تلجرافيك اجانسى وويكلى نيوز دايجست ، وورلد جويش ايرز ، ونيوز فينشس سيرفس ، اما في ايطاليا فتوجد صحف ويلجيرزمو ، واسبيتى اى بروليمى ، وفي افريقيا توجد صحف ايسست افريكان جويش ريفيو ورودسيا جويش جازيف ، ورودسيا جويش تايمز ، وافريكان جويش نيوز بيمر ، وسوث افريكان جويش فرنثير وسوث افريكان جويش اوبزرفر .

وفي كندا توجد صحف الجويش ديلى ايجل ، وجويش كرونكل ، والجويش ويكلى ، والجويش مجازين .

اما امريكا ففيها عدد كبير من الصحف الصهيونية منها جويش موليتور وينى بربث مسينجر ، وكاليفورنيا جويش فويس ، وفالى جويش نيوز ، والجويش ستار ، وناشيونال جويش ، وجويش تايمز ، وجويش بوست ، وجويش ستاندارد في ولاية نيوجيرسى ،

وفي نيويورك توجد امريكان هييرو ، ولجرافيك اجانسي ووكالة جويش برس وغيرها .

بل ان الدعاية الصهيونية توجه جهودها داخل اسرائيل الى الاقليات العربية ، وتوجد صحف تصدر باللغة العربية ومنها صحيفة «اليوم» وهي شبه رسمية ويصدرها المستديوت ويشرف عليها حزب «الماباي» ، وتصدر في مدينة يافا ، وصحيفة «الاتحاد» وهي جريدة يومية شيوعية تصدر في حيفا وتنطق بلسان الحزب الشيوعي الاسرائيلي وجريدة « المرصاد » وقد اصدرها حزب « الماباي » عام ١٩٥١ وهي ترجمة لجريدة « عالمشمير » التي يصدرها الحزب بالعبرية والصحيفة العبرية معناها « الحارس القومي » وهي واسعة الانتشار في دوائر العمل والعمال ولها مكاتب دائمة في وشنطن ولندن وباريس .

كما توجد صحيفة « حقيقة الامر » وهي اسبوعية وتهتم بشئون العمال بتوجيه من السلطات الاسرائيلية .

وصحيفة « الوسيط » ويصدرها حزب الصهاينة العمومي اما جريدة « الحرية » فهي اسبوعية وتصدر عن حزب « حيروت » وتحاول ان تنشر مبادئ الحزب بين الاقلية من العرب .

ولاشك ان المحاولات التي تقوم بها اسرائيل للسيطرة على ميدان الدعاية والاعلام يجب ان تواجه بتيار مضاد من الدعاية العربية والاعلام العربي ، من اجل الوصول الى الابداع العربي الفني في التعبير عن القضية الفلسطينية وايقاظ الثورة التنظيمية والتكنولوجية في تحديد صلاتنا بالعالم وايراز الشخصية العربية ودور العرب الحضاري في العصور القديمة والوسطى ، ومخاطبة اليهود بالمقار والضمير وايراز مسؤوليتنا تجاه المدنية والسلام واشترائنا في المؤتمرات الدولية الدراسية بتقديم افضل الدراسات جود ونوعا والاستعانة بالخبراء في ذلك بحيث يكون المسئول عن الاعلا

العربي على اطلاع بصناعة السياسة الخارجية ، والتراث الفكرى والثقافى العربى ، والتيارات الفكرية والسياسية العالمية كما يقوم بخطة اعلامية دقيقة مدروسة لا تسير اعتباطا ولا تنطلق عفوية !

والواقع ان القضية الفلسطينية لم تعد بعد حرب يونيو قضية فلسطين فحسب انما غدت القضية المصرية والقضية الاردنية والقضية السورية . ومن هنا كان خطر مهمة القائمين بالدعاية والاعلام كما اننا يجب ان نفرق بين اليهودية كدين وبين الصهيونية كملذهب سياسى يحاول ان يفزو الشرق العربى كما استطاع ان يتوغل فى بلدان آسيا وأفريقيا وأوروبا والعالم الجديد !

ولا بد ان تكون من مهمتنا التنديد بهذه الدموة الصهيونية كحركة عنصرية تبناها الاستعمار العالمى فجددت مآسى الفاشية والنازية وتكشف النقاب عن النشاط الصهيونى المخرب الارهابى فى العالم فيما يمارسه من اعمال الاغتيال والخطف والتنكيل وما اقترفه ولا يزال من مذابح واسعة النطاق فى فلسطين وخارجها وفضح مسؤولية القوى الاستعمارية فى هذه الجرائم كما يجب ان نميط اللثام عن الانطلاق العنصرى الدينى الذى تقوم به اسرائيل واضطهادها لعرب فلسطين وتحيزها ضد اليهود الشرقيين ذاتهم ووصمها باللا دينية ، كل يهودى لا يؤمن بالهجرة اليها وتحريف الدين عن موضعه ، ونشر الوعى بحركة القومية العربية حيث انها قوة تمتد جذورها الى ماضى حضارى عميق وتتكسر التعصب وتناهض تياراته الطائفية والفاشية العنصرية ، واصوله الاستعمارية والصهيونية .

ولعل اول مبدأ يجب ان نتمسك به ونحرص عليه كما اتفق على ذلك خبراء العرب فى المؤتمر الاعلامى فى يوليو عام ١٩٦٧ هو التركيز على وحدة الاهداف والمصير بين أبناء الشعب العربى وتوعية الجماهير العربية بدقائق الوجود العربى وتنبيهها الى الخطر الداهم الذى تمثله قوى الصهيونية المتحالفة مع الاستعمار

وجمع كلمة العرب على العمل الموحد في سبيل تحرير فلسطين
والأجزاء المحتلة من الوطن العربي ووقوفهم كتلة واحدة أمام أى
عدوان يوجه الى أى دولة عربية .

وقد ارتكب الصهاينة في حرب يونيو من الجرائم ما يتنافى مع
القوانين الدولية فقد نصت المادة ٢٣ من لائحة لاهاي للحرب على
انه ليس للمتحاربين أن يختاروا دون حد الوسائل التى تضر
بالعدو ، وعددت اللائحة وسائل العنف غير المشروعة بأنها استعمال
أسلحة أو مقذوفات تزيد في آلام المصابين وفي خطورة أصابتهم
أو استعمال رصاص متفجر من شأنه أن ينتشر بسهولة في جسم
الإنسان أو استعمال غازات خائقة أو ضارة بالصحة أو استعمال
السموم من أى نوع ، وبأى وسيلة والأجهزة على الجرحى أو قتل
من سلم نفسه من الأعداء وأصبح أعزل ، كما تنص المواد ٢٥ ، ٢٦ ،
٢٧ من لائحة لاهاي على عدم إطلاق النار على مدن العدو وحصونه
الا بعد إنذارها وطلب التسليم بشرط الا تكون غير مدافع عنها مع
عدم إصابة المباني المخصصة للقيادة والمنشآت الفنية والعلمية
والخيرية والمستشفيات .

كما نصت لائحة لاهاي عام ١٩٠٧ على الوسائل المشروعة في
الخدع الحربية من أجل الحصول على معلومات عن العدو ، و
إرضائه ، وكذلك نصت المادة ٣٣ على وسائل الخداع غير المش
ومنها التظاهر بالتسليم للعدو حتى يؤخذ على غرة ، واست
إشارة الصليب الأحمر لحماية إحدى المنشآت العسكرية أو
المهمات واستعمال ملابس جنود العدو وشاراته حتى يسـ
الاندساس بينهم .

وقد نقض الصهاينة هذه اللائحة نقضا مبرما ، وارتكبوا من
الجرائم والحماقات ما يدينها أمام القانون وأمام الراى العام العالمى ،
بل لقد نقضت اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩ في المواد ٣ ، ١٢ ، ١٤ ،

١٥ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٢ التى تنص على وجوب العناية بهؤلاء المرضى والجرحى الذين يوجدون فى ميادين القتال من حيث الرأفة بهم وتطبيبهم ومداداتهم واسعافهم الاسعافات العاجلة حتى يمكن نقلهم الى المستشفيات . كما نصت لائحة لاهاي على انه لا يجوز اعلان ضم الاقليم المحتل الى الدولة التى احتلته ويبقى الاقليم متسما بسيادة الدولة التى هو جزء منها فى الاصل ولا تنتقل ملكية الاقليم المحتل الى الدولة الفالبة الا باتفاق ضمن الصلح النهائى (راجع مادة ٤٣ من لائحة لاهاي للحرب البرية) .

غير ان اسرائيل لم تحترم هذا النص واعلنت ضم القدس القديمة الى فلسطين المحتلة بل اعلنت ضم سيناء الى اسرائيل وصبت جام غضبها على الاهلين وامطرت المدن بالقنابل الحارقة ، واستخدمت قنابل النابالم المحرمة دوليا واعتدت على دور العبادة والمستشفيات واقت القبض على شيوخ المساجد والقساوسة المسيحيين وارغمتهم على ترديد عبارات معينة فى خطبة الجمعة او موعظة الأحد ، واتضح من اعتداء واحد على الاردن بان قنابل النابالم احرقت ٢٠٠ سرير فى مستشفى لوثران بالقدس ، وقد مات كثيرون من جراء ذلك واصيب الكثيرون ايضا . مما جعل بعض الصحف العالمية تنشر المقالات المستفيضة عن الارهاب الصهيونى ومنها جريدة « الجارديان » التى نشرت تقريراً كتبته مراسلها « مايكل ادامز » تحت عنوان « الارهاب الاسرائيلى للفلسطينيين فى غزة » وصحيفة « الاوبزرفر » التى نشرت مقالا لمراسلتها « ايرين بيسون » تحت عنوان « العرب يقسولون » . الاسرائيليون يطردوننا من ديارنا » ونشرت صحيفة نيويورك تايمز

مقالا ارسلها « ترينيس سميث » جاء فيه ان القوات الاسرائيلية
محنت قرية من الوجود تماما بعد ان اتهمت سكانها بايواء رجال
المقاومة .

كما اكد اوثانت في تقريره المؤرخ في ١٥ سبتمبر عام ١٩٦٧
الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن ان السلطات
الاسرائيلية قامت باعدام مدنيين وتدمير منازلهم بعد توقف
الاشتباكات كما هاجمت المستشفيات كمستشفى الشفا والميدان
والمستشفى العسكري في قطاع غزة وقتلت المرضى وبعض الأفراد
العاملين واعتقلت الاطباء .

ولا شك ان كل هذه الاعمال لا يقبلها عقل ولا يقرها قانون
ولا يسمح بها شرف ولا دين ، وكل هذه الاعمال في نفس الوقت
مادة يمكن ان يستخدمها الاعلام العربى والدعاية العربية في الدفاع
عن القضية الفلسطينية والقضية العربية على السواء ، ودحض
الادعاءات الاسرائيلية وتحطيم خطة الحمامة حتى تسقط ميتة
فوق التراب لا !

الفصل الخامس

النصر مع الصبر

اخيرا لكي نسقط الحمامة بل اولاً واخيراً لكي نسقط الحمامة
يجب ان نتروى بالصبر والايمان ، والصبر والايمان فضيلتان دعانا
الله عز وجل الى التحلى بهما ، فقال تعالت صفاته في كتابه العزيز
« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع
الصابرين » كما قال « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
واثقوا بالله لعلكم تفلحون » كما يبشر الصابرين بجنات النعيم
فيقول جل علاه « انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب » ويقول
« فاصبر . كما صبر اولو العزم من الرسل » .

وروى لنا عز وجل قصة طالوت وقتاله لجالوت وكيف انه
استخلص من جيشه الصابرين الطيعين بامتحان قدرتهم على الطاعة
والصبر في يوم شديد الحر ظمى فيه الجند ظمًا شديداً ، فمنهم

ولم نزل نظن أن النصر
وليمة تأتي لنا ونحن في سريرنا
ولم نزل نمضغ ساذجين
حكمتنا المفضلة

الصبر مفتاح الفرج
إن الرصاص وحده لا الصبر مفتاح الفرج

فقد رأت على قصيدته سحابة قائمة من الكآبة والحزن ،
ونحن يجب ألا ندع هذه التيارات الكثيرة تؤثر في حياتنا ، وتتغلغل
في وجودنا ، فإن الاستعداد للمعركة والتهيؤ للقتال ، والحصول على
الدخائر والمعدات يعتبر لا شيء إذا لم تصاحب ذلك كله طاقات
روحية متوقدة ، ومشاعر قومية ملتهبة ، وإيمان عظيم وصبر عند
البلاء .

ومن هنا نردد مرة أخرى أن الصبر مفتاح الفرج ولكننا في
نفس الوقت نقول أن ديننا يدعو إلى القوة كما يدعو إلى السلام ،
وربنا رب العزة وديننا هو القوة ورسالتنا هي رسالة الجهاد ،
وعبادتنا هذه تابعة من صميم ديننا ، ومن واقع إيماننا . فقد قال
تعالى : « سيجعل الله بعد عسر يسرا » كما قال تعالت صفاته
وجلّت آلاؤه : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » ، والينا ترجعون » .
وعندما نفهم حق الفهم معنى الصبر والابتلاء في الإسلام ندرك
أننا قد وضعنا أيدينا على الخطة السليمة التي تودي بالخصامة إلى
الأرض وما من طائر علا وارتفع إلا كما طار سقط ووقع ؟ !



مختارات من
مطبوعات
الشعب

- وانطلقت المدافع عند الظهر
□ محمد عبد العظيم ابو غزالة
- معركة العبور المجيدة
□ احمد حسين
- عندما سقطت السماء فوق اسرائيل
□ محمد فيصل عبد النعم
- معارك فوق الصحراء
□ حاتم فريد
- الرجال والفاتوم
□ سعيد عبد الكريم
- الحرب خدعة
□ ابراهيم شبيب
- العيسود
□ حسين الطنطاوى
- السويس مدينة تحت الحصار
□ رياض سيف النصر
- ادهى رجال الحرب في الشرق والغرب
□ السيد فرج
- السياسة النووية لاسرائيل
□ د. محمود خيرى بنونة
- كلام عنا ٠٠ وعن اسرائيل « من ٥ يونية الى ٦ اكتوبر »
□ مصطفى بهجب بدوى
- مذكرات محارب قديم
□ جمال السيد
- باروخ في المصيدة
(اعترافات ضابط مخابرات اسرائيلي
□ عبد الفتاح الديب

هذا الكتاب

دراسة جادة لمقدمات - حرب يمنية - ونتائجها ،
والدروس المستفادة منها ، ومناقشة موضوعية لما كتب
عن المعركة ، بحياذ وأمانة .. كما يستعرض الكتاب
بعض الحروب التي جرت على أرض مصر وانتهت بانتصار
مصر بفضل استبسالها وتماسكها .